إلى العالَم

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
أعلى الله درجاته

منشورات
مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر / كربلاء المقدسة

بالتعاون مع
مؤسسة الوعي الإسلامي / بيروت لبنان
الطبعة الأولى
١٤٣١هـ ٢٠١٠م

مواقع جديرة بالمراجعة:
www.s-alshirazi.com
www.alshirazi.com
www.alshirazi.net
www.annabaa.org

مطبعة النجف الأشرف : حي عدن

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

إنه من غير الشك أن كل العالَم اُبتلي بهذه الحضارة المادية التي أتت من الغرب، والغربيون هم أوّل من وقع ضحيةً لهذه الحضارة، وهذه الحضارة ليست واقعية، وإنما هي انعكاس لمظالم الكنيسة، وردّ فعل لما فعله الدّين المسيحي المنحرف عن منهج السيد المسيح عليه السلام .. كما أن مشايعة المسلمين للغرب أيضاً ردّ فعل لما كان يفعله الخلفاء والأمراء والسلاطين من العمل باسم الإسلام.

ومن الواضح أن من يلاحظ منهج السيد المسيح عليه السلام أو نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم أو النبي موسى عليه السلام، أو حتى مثل (بوذا)[١] و(كنفوشيوس)[٢] ونبي

---

(١) (سذهاتا) المعروف بـ (بوذا) والذي يعني المستنير، وُلد سنة ٥٦٣ ق.م، وتوفي سنة ٤٨٣ ق.م، كان أميراً في بلاده ومن عائلة مترفة لكنه ترك ذلك وتوجه نحو العزلة والتقشف من أجل أن يطهّر نفسه لكي يصل إلى سرّ الكون كما ادعاه، وبعد سبع سنوات من العزلة والجوع والمشقة الشديدة تمرّد على الطريقة السائدة من النسك، فتوجه إلى أن ما يوصل إلى الغاية هو: (عقل في جسم سليم) فحينئذ فارقه أتباعه، فتوجه نحو شجرة في غابة وجلس تحت ظلها وبعد فترة أحس بالإشراقة التي أدعاها والتي تسمى عند أتباعه بـ (النرفانا) وبعد موته قدّسه أتباعه وجعلوه مخلصا وإلهاً.

(٢) (كونغ فوتسي) المشهور بـ (كونفوشيوس) ولد عام ٥٥١ ق.م، كان مدرساً للأخلاق الحميدة ثم تولى منصب حاكم مدينة (شونج فو)، ثم عين وزيراً للعدل، كان شعاره: "لا تفعل بالآخرين ما لا تحب أن يفعلوه بك"، وكان يدعو للعدالة والاستقامة، وكان محور بحثه القضايا الدنيوية من السياسة والأخلاق وماشابه، ولم يتعرض للقضايا الآخروية.

المجوس[١]، يرى انحراف هذه المناهج الموجودة حالياً السائرة في أتباعها عن منهجهم.

نعم رفاه الغرب المادي من حيث المال والنظام، ومشاركة الناس ـ ولو نسبياً ـ في تقرير مصير أنفسهم، لا ينكر، لكنه في نفس الوقت يعاني الغرب من مشاكل لا تحصى. كما أن استعمار الغرب لسائر البلاد، بحدّ ذاته مشكلة للغرب قبل أن تكون للبلاد المستَعمَرة ـ بالفتح ـ كما يلاحظ ذلك في نداءات علمائهم الذين يريدون إنقاذ أنفسهم عن هذه الجريمة الاستعماريّة، وإنقاذ البلاد المستَعمَرة ـ بالفتح ـ عن ما يجري عليهم من الجريمة الإنسانية بالاستعمار والاستثمار.

وإني قد استظهرت من المقدمات، قبل عشر سنوات من سقوط الاتحاد السوفيتي في عدّة كتب، ومنها (ماركس ينهزم)[٢]: أن الاتحاد

---

(١) (زرادشت) ولد سنة ٦٦٠ ق.م وتوفي سنة ٥٨٣ ق.م ورد في بعض الأخبار أنه كان نبياً وأن له كتاباً اسمه: (جامست)، ولكن قومه حرقوا كتابه وقتلوه، وجاء بعد ذلك قوم نسبوا إليه بعض الآراء الفاسدة والتي انتهت إلى تأسيس دين المجوس القائم على الثنوية وعبادة النار ونكاح المحارم وما شابه، فضلاً عن ظهور قوم سُموا بالدهرية وهم الزنادقة ونسبوا ذلك إليه أيضاً، وقيل: إنه تلميذ النبي ولم يكن نبياً وقيل غير ذلك.

(٢) (ماركس ينهزم) من مؤلفات الإمام الشيرازي رحمه الله في قم المقدسة، ويتضمن العناوين التالية: ماركس إلى الزوال، الإلهيون والماديون، الديالكتيك، التناقض، أمثلتهم للتناقض، المثلث الماركسي، المادة ليست مسرحاً لتز وآنتى تز وسنتز، كيف يتكامل العلم، ماركس وأصول ديالكتيكه، ماركس وأدوار الاجتماع، إيرادات على الأصول الأربعة والأدوار الخمسة. وقد تنبأ المؤلف دام ظله في هذا الكتاب بانهيار الشيوعية قبل أن تنهزم في عام ١٩٨٨م، طبع الكتاب في دار القرآن الحكيم، قم إيران، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، ١٤٠٠هـ وترجم إلى الفارسية: (ماركسيسم در آستانه سقوط)، ترجمه الشيخ ذكر الله الأحمدى، وطبع: مكرراً في إيران، منها: كانون نشر انديشه هاي اسلامي، قم المقدسة، (٧٢ صفحة، ٢٠×١٤).

السوفيتي يسقط عن قريب، وكان كذلك، والآن أستظهر سقوط الغرب أيضاً، ـ ولو بالتغيير في مناهجه ـ وقد كتبت في ذلك كتاباً باسم (الغرب يتغيّر)[١].

إذاً فالمهم، أن يأخذ العقلاء زمام التغيير، لئلا يتغير إلى ما يماثل النظام الحالي في السوء، أو أسوء ـ والعياذ بالله ـ وقد رأينا كيف أن الاتحاد السوفيتي لما تحطم، لم يصب مثل لتوانيا[٢]، واستونيا [٣] بسوء حيث إنهم كانوا على

---

(١) (الغرب يتغير) من مؤلفات الإمام الشيرازي ﵀ في قم المقدسة، ويتضمن العناوين التالية: الاستعمار، الرأسمالية، المادية، الاستعلاء، الحرية، السلاح، التجسس، الدولة، التوظيف اللامسؤول، تبديد الثروات، الغلاء، بيت المال، البطالة، المرأة، الفقر، المرض، التضخم السكاني، ضياع الكفاءات، الانفتاح، اللامنطق.تاريخ التأليف ٢٦ ربيع الثاني ١٤١٤هـ .طبع الكتاب في مؤسسة الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م. وطبع في الكويت والبحرين أيضاً، ترجمه إلى الفارسية الدكتور حسن معصومي بهبهاني: (غرب در آستانه دكركوني) ط هيئة خير المرسلين ﷺ ١٣٨٠هش، (٧٩ صفحة، ٢٠×١٤).

(٢) (ليتوانيا) هي أكبر دولة من دول البلطيق الثلاث وإحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق إلا إنها ليست من دول شرقي أوروبا بل من دول أوروبا الشمالية تحدها لاتفيا من الشمال، روسيا البيضاء من الشرق والجنوب، بولندا من الجنوب الغربي، وإقليم كالينغراد الروسي وبحر البلطيق من الغرب، بعد نشوب الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتي، قامت الأولى باحتلال جمهوريات البلطيق عام ١٩٤١م، إلى أن أعاد الجيش الأحمر احتلالهم وإعادتهم تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي، وتماماً كجمهوريات البلطيق الأخرى، بقي تاريخ ليتوانيا جزء من التاريخ السوفياتي في السنوات المقبلة حتى الأعوام ١٩٨٨ -١٩٩٠م، عندما بدأ الاتحاد السوفياتي بالانهيار وتزايد الأصوات المطالبة باستقلال البلاد. فأعلنت ليتوانيا استقلالها عام ١٩٩٠م، وقد رفض الاتحاد السوفياتي الأمر في البداية وأرسل قوات عسكرية سوفياتية لفرض السيطرة ولكنه مع تزايد الضغوطات الدولية، اعترف في العام التالي بالجمهورية الجديدة. انضمت ليتوانيا إلى الأمم المتحدة عام ١٩٩١م وإلى الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٤م.

(٣) (إستونيا) هي أحد جمهوريات البلطيق الثلاث وإحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق. يحدها من الشرق روسيا ومن الجنوب لاتفيا. ومن باقي الجهات بحر البلطيق. بعد نشوب ◄

استعداد للتغيير إلى الأحسن، بينما البلاد الإسلاميّة هناك أمثال: أذربيجان[١]، والشيشان[٢]، وما أشبه، أصيبت بسوء، لما لم يكونوا

◄الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتي، قامت الأولى باحتلال جمهوريات البلطيق عام ١٩٤١م، إلى أن أعاد الجيش الأحمر احتلالهم وإعادتهم تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي، وبقي تاريخ البلاد جزء من التاريخ السوفياتي في السنوات المقبلة حتى الأعوام ١٩٨٨ - ١٩٩٠م، عندما بدأ الاتحاد السوفياتي بالانهيار وتزايد الأصوات المطالبة باستقلال البلاد. وأعلنت إستونيا استقلالها عام ١٩٩٠م، واعترف المجلس السوفياتي الأعلى في العام التالي بالجمهورية الجديدة. انضمت إستونيا إلى الأمم المتحدة عام ١٩٩٢م وإلى الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٤م.

(١) (أذربيجان) جمهورية تقع في الجزء الشرقي لمنطقة ما وراء جبال القوقاز وتَحُدّ أذربيجان من الشمال جمهورية داغستان، ومن الشمال الغربي جمهورية جورجيا، ومن الجنوب الغربي جمهورية أرمينيا، ومن الجنوب إيران، وحدودها معها (٦١١) كيلو متر، وكذلك تركيا بحدود (١١) كيلو متر، تعرف آذربيجان باسم آخر هو (أرض النار) وعرفت بهذا الاسم لأن حقول الغاز فيها تنفث النار من الأرض عند خروجها إذ تمتلك البلاد احتياطيا كبيراً من البترول والغاز. تبلغ نسبة المسلمين بأذربيجان ما بين (٩٣,٤٪ و ٩٦٪) من السكان، منهم (٨٥٪) من الطائفة الشيعية. في ابريل (نيسان) عام ١٩٢٠م وجهت روسيا السوفييتية الجيش الاحمر الحادى عشر الى أذربيجان. وفي ٢٨ إبريل (نيسان) عام ١٩٢٠م أعلن في أذربيجان الحكم السوفييتي. أصبحت أذربيجان جزءً من الاتحاد السوفييتى. وتمت إعادة استقلال آذربيجان عام ١٩٩١م. وابتدأت المرحلة الجديدة في التاريخ بعودة حيدر علييف إلى الحكم.

(٢) (جمهورية الشيشان) إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي سابقاً، وتعتبر إحدى جمهوريات الإتحاد الروسي حالياً، تقع الشيشان في منطقة جبال القوقاز التي تمتد بطول (٦٠) ميلاً ما بين البحر الأسود غرباً وبحر قزوين شرقاً.. بدأ غزو الروس القياصرة للقوقاز في عام ١٧٢٢م في عهد القيصر بطرس الأكبر. وقعت في الشيشان ثورات عدة ضد الحكم الروسي واستمرت حتى ١٩٤٢م وتم قمعها بقصف جوي ومدفعي لمناطق الشيشان. في الحرب العالمية الثانية تم نفي وتهجير مئات الآلاف من الشيشان عن أراضيهم وبلادهم وتوفي منهم مائة ألف بسنتين نتيجة التهجير والظروف السيئة وألغيت جمهورية الشيشان ـ أنغوش، أسس ستالين جمهورية الشيشان ذات الحكم الذاتي عام ١٩٤٤م، ونفى شعبها عام ١٩٤٥م بعد اتهامهم بالتعاون مع النازية. استمر اعتقال الشعب الشيشاني في سيبيريا حتى العام ١٩٥٧م حين سُمح لهم بالعودة وتشكيل جمهورية تحت إشراف وحكم روسي مباشر. لتعود تلك الشعوب المنفية إلى بلادها بعد وفاة ستالين وتسلم خروتشوف

مستعدين للتغيير إلى الأفضل.

إن من يفاجئ بسقوط قطعة من الجبل، وهو قريب منه، يصيبه أكبر الخوف والأذى، بينما من يعلم ذلك ويستعدّ له، لا يصيبه أيّ شيء من الأذى، والكلام في المقام من هذا القبيل، فقد قال الحكماء: (حكم الأمثال فيما يجوز وفيها لا يجوز واحد)[١]. إن الإصلاح العالمي التام لا يكون إلاّ بيد الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف):

خـروج إمام لا محالة ظاهـــر يقوم على اسم الله بالبركات[٢]

أما الإصلاح بقدر، فهو ممكن قبله (عجل الله فرجه) من باب الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الأمور الثلاثة[٣] عقليّات قبل أن تكون شرعيّات، ولذا فلنشد الأحزمة لهذا التغيير العالمي، فالظرف صالح ومقدّمات التغيير ـ التي هي عجز العالم عن إنقاذ نفسه، وجعله في طريق النجاة ـ حاصلة، والأمر بعون الله سبحانه ميسور، وما ذلك على الله بعزيز، وهو الموفق المستعان.

قم المقدسة
١٠ شعبان ١٤١٥ هـ
محمد الشيرازي

لمقاليد الحكم السوفيتي عام ١٩٥٧. بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ أعلن القائد◄
◄الشيشاني جوهر دوداييف استقلال الشيشان، مما أشعل الحرب الضارية بين الروس والشيشان من ١٩٩٤ حتى ١٩٩٧. ثم عادت الحرب وتجددت سنة ١٩٩٩.

(١) شرح الأسماء الحسنى، للملا هادي السبزواري: ج١ ص٧٧.

(٢) من أبيات قصيدة شاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعي التي قرأها بمحضر الإمام الرضا عليه السلام انظر (عيون أخبار الرضا عليه السلام): ج٢ ص٢٩٧ ب٦٦ ح٣٥.

(٣) أي الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

١
عدم الازدواجية

من غير الصحيح ازدواجية الدّين والدنيا، حتى عند الدّين المسيحي المزعوم الذي يقول: (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)[١]..

نعم إذا لم يكن لأحدهما منهج أصلاً، فقد يمكن جمعهما ولا يقع التضارب بينهما[٢]، وإلاّ فلا يمكن الجمع بين منهجين متضاربين، لكل منهما آداب ورسوم، وأخلاق وشريعة، مثلاً إن المادّة تقول: (حصّل على أكبر قدر من المال من أيّ طريق)، والدّين يقول: (لاحظ الأخلاق)، كما يحكى عن السيد المسيح عليه السلام أنه قال: (إذا ضربك على خدّك الأيمن فخذ له خدّك الأيسر)[٣]، فهل يمكن الجمع بين هذا التعليم، وبين التعليم الذي يقول: حصّل المال ولو من ضرب الناس وإيذائهم والإضرار بهم؟.

ولذا نرى أن المسيحيّة سقطت في الغرب، إلاّ في طقوس عيد الميلاد، ونرى أن البابا ومعاونيه لا يقفون أمام المفاسد، إلاّ نادراً ندرة أقل من

---

(١) جاء في إنجيل متى الاصحاح٢٢: (حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين: يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولاتبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا: ماذا تظن أيجوز أن تعطي جزية لقيصر أم لا، فعلم يسوع خبثهم وقال: لماذا تجربونني يا مراؤون، أروني معاملة الجزية، فقدموا له ديناراً، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة، قالوا له: لقيصر، فقال لهم: أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله).

(٢) لأنه من باب السالبة بانتفاء الموضوع في أحد الجانبين.

(٣) جاء في إنجيل لوقا، الاصحاح٦: (من ضربك على خدك فأعرض له الآخر).

نصائح عقلائهم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

إن الغرب ليس كلّه ـ كما يُزعم ـ متعصباً للمسيحيّة وللغربيّة، ولذا نرى أنهم اتخذوا دين المسيح عليه السلام الشرقي، وكثير منهم اتخذ دين رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم الشرقي، وإنما الغرب له سابقة في الدين من الوثنية، ودعاة المسيحيّة أعادوهم إليها..

ولأنهم خافوا من ظلم حكام أمثال معاوية والمتوكل والمعتصم الذي دخل (العمورية)[١] وكانت أجمل مدينة وأكثرها نفوساً، ثم خرج منها ولم يخلف إلاّ أربعين شخصاً وأطلالاً وخرائب..

خاف الغربيون من أمثال هؤلاء.

وأخيراً جاء ظلمة الحكّام العثمانيّين[٢]، بما اقترفوا من مآثم تقشعر

---

(١) عمورية: مدينة كبيرة من بلاد الروم وهي من أحسن بلاد الروم حيث كانت في (فريجيا) في آسيا الصغرى وقد تأسست في الفترة الهلينية، وازدهرت في عهد الامبراطورية البيزنطية. تقع على سفح جبل على ساحل شرقي بحر وفي مقابله غربي البحر القسطنطينة وبينهما قريب من ثلاثين فرسخاً، وهي التي فتحها الحاكم العباسي المعتصم بالله ونهب أموالها وقتل ثلاثين ألفاً أو أزيد وحرقها عن بكرة أبيها في القضية المعروفة، ثم أصبحت مقراً لسلطان العثمانيين قبل فتح القسطنطينة، بقاياها تقع بالقرب من قرية (حصار كوي) في محافظة (أفيون قرة حصار) بتركيا.

(٢) العثمانيون: سلالة السلاطين الأتراك، أسسها عثمان الأول عام (١٢٨١م) نشأت على أنقاض الدولة السلجوقية ومدّت سلطتها إلى البلقان والدول العربية وبلاد إفريقية، استولت الدولة العثمانية على العراق عام (١٦٥٨م) بعد القضاء على الحكم العباسي، احتل محمد الفاتح القسطنطينية سنة (١٤٥٣م) وجعلها عاصمة وقضى على البيزنطيين وانتقلت ـ ما يسمى ـ خلافة المسلمين إلى سليم الأول الذي أنهى حكم المماليك وسيطر على سورية وفلسطين ومصر عام (١٥١٦م)، خلفه ابنه سليمان القانوني فوطد أركان الدولة وبسط نفوذه على البلاد العربية والإسلامية حتى إفريقية، وقد بلغت الإمبراطورية في عهده في أوج قوتها وعزها، فأصبح لها جيش قوي وأسطول بحري من الانكشارية.

بدأت الدولة بالانحطاط في أواخر القرن (١٧) الميلادي وأخذ نفوذها يتقلص شيئاً فشيئاً◄

منها الجلود ويشيب منها الولدان[١]، وقد ذكرنا بعض ذلك في كتاب عن تاريخ العثمانيّين[٢].

إنّ الغرب إذا عرف إنسانية وفضيلة وعدالة وواقعية نبي

◄وقويت شوكة الروس ثم ظهرت الحركات الاستقلالية في القرن (١٩) الميلادي في مصر واليونان التي تحررت وتبعتها رومانيا والصرب. تحالف العثمانيون مع الألمان في الحرب العالمية الأولى، فأدّى انهزام ألمانيا إلى تفكك الإمبراطورية العثمانية وإعلان الجمهورية التركية بزعامة مصطفى كمال أتاتورك عام (١٩٢٣م).

(١) ومن تلك: أمر (السلطان سليم) بحصر عدد الشيعة المنتشرين في الولايات المتاخمة لبلاد العجم بطريقة سرية، ثم أمر بقتلهم جميعاً. ويقال: إن عددهم كان يبلغ نحو الأربعين ألفاً. انظر(تاريخ الدولة العثمانية): ص٢٧ (قتل الشيعة)، وجاء في كتاب (الشيعة والحاكمون) للشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله في باب (العثمانيون): (.. وتولى السلطان سليم زعامة السنة، واستحصل على فتوى من شيوخ السوء بأن الشيعة خارجون على الدين يجب قتلهم، ولذلك أمر بقتل كل من كان معروفاً بالتشيع داخل بلاده .. وفي الفصول المهمة أن الشيخ نوح الحنفي أفتى بكفر الشيعة ووجوب قتلهم فقتل من جراء هذه الفتوى عشرات الالوف من شيعة حلب حتى لم يبق فيها شيعي واحد وكان التشيع فيها راسخاً ومنتشراً ومنذ كانت حلب عاصمة الدولة الحمدانية .. وقتل العثمانيون الشهيد الثاني المشهور بفضله وورعه وكتبه العلمية الجليلة.. وفعل الجزّار والي عكا بجبل عامل فعل الحجاج في العراق .. وانتهب الجزّار أموال العلويين ومكاتبهم وكان في مكتبة آل خاتون (لوحدها) خسة الآف مجلد وبقيت أفران عكا توقد أسبوعا كاملا من كتب العامليين..).

(٢) للإمام المؤلف قدس سره كتابان حول الدولة العثمانية، الأول تلخيص (تاريخ الدولة العثمانية) لمؤلفه محمد فريد بك المحامي، وكان التلخيص في قم المقدسة، ط مركز الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للتحقيق والنشر، بيروت لبنان، عام ١٤١٩هـ ١٩٩٨م. ومؤسسة الولاية، بيروت لبنان، ١٤٢١هـ . وهيئة محمد الأمين صلى الله عليه وآله وسلم الكويت، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، يقع الكتاب في (٢٠٧ صفحة ٢٠×١٤). الثاني: تلخيص كتاب (تاريخ امبراطوري عثماني) لمؤلفه (هامر بور كشتال، يوزف) المترجم إلى الفارسية، ترجمه (ميرزا زكي علي آبادي) وكان التلخيص في قم المقدسة. ط هيئة الإمام الحسين عليه السلام سنة ١٤١٧هـ، قم المقدسة. يقع الكتاب في (أربعة أجزاء ٤٣٢ صفحة ٢٤×١٧ فارسي).

الإسلام ﷺ وخلفائه الأئمة الأطهار عليهم السلام كان أسرع شيء إلى قبول الإسلام، فإذا عرف الغرب أن نبي الإسلام ﷺ يدخل عنوةً عاصمة حاربته عشرين سنة أشدّ محاربة، ثم يعفو عنهم وعن قادة الأعداء، فيقول: «من دخل دار رئيس المحاربين فهو آمن»[١]، ويقول لأشد أعدائه: «لا عليكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٢]، أسلم[٣] في أقل من فواق ناقة[٤].

وليس كلامنا الآن في إسلام الغرب، وإنما في أنه إذا كان هناك دين وهناك دنيا، وقع الإنسان في الازدواجية، كمن يعطي الخمس ويعطي الضرائب، إنه لابدّ وأن يفرّ إما من هذا أو من ذاك، وكذلك حال من كان أمامه منهجان، منهج يقول: أنت حرّ في الزنا بنساء الناس، ومنهج يقول:

---

(١) قال رسول الله ﷺ في فتح مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن». انظر (الخصال): ص٢٧٦ باب الخمسة ضمن ح١٨.

(٢) روي: «إن أهل مكة دخلها رسول الله ﷺ عنوة فكانوا أسراء في يده فأعتقهم، وقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء» انظر (الكافي): ج٣ ص٥١٣ باب أقل ما يجب فيه الزكاة من الحرث ح٣.
وروي أنه: جاء رسول الله ﷺ إلى باب الكعبة وفيها رؤساء قريش فأخذ بعضادتي الباب وقال: «ماذا ترون أني صانع بكم»، فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، ملكت فاسجح، فقال: «إني أقول لكم كما قال أخي يوسف لأخوته: ﴿**لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾، أنتم الطلقاء».

(٣) أي الغرب.

(٤) في الحديث الشريف: «العيادة قدر فواق ناقة أو حلب ناقة». وسائل الشيعة: ج٢ ص٤٢٥ ب١٥ من أبواب الاحتضار وما يناسبه ح١، وفي حديث آخر: «من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة» شرح الأزهار، لأحمد المرتضى: ج٢ ص٤٢، وفي رواية: «من كبّر في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة» مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٣ ب١ من أبواب جهاد العدو ومايناسبه ح١٩، و(فواق ناقة) قدر ما يرجع الحليب في الضرع بعد الحلب، وفي القاموس: قدر ما بين الحلبتين من الوقت، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع، وقيل: الفواق ما بين الحلبتين من الوقت لأنها تحلب ثم تترك ساعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب.

لا تزنِ وإلاّ كان عليك عقوبة الدنيا والآخرة.

ولذا نرى الغرب ترك تعاليم السيد المسيح عليه السلام جملةً وتفصيلاً حتى فيما بقي من تعاليمه، وحرّف كتاب الإنجيل تحريفاً جديداً في هذا القرن بما يلائم حضارته، وصاروا على منهج واحد، وحتى أعياد الميلاد ليست إلاّ عبارة أخرى عن الماديّة، ولكن باسم المسيح وأنه ابن الله.

إن من الضروري أن يُفهِم المسلمون الواقعيون ـ لا المسلم الاسمي الذي جرّد سيفه وسوطه ولسانه ليضرب عنق من يقع نظره إلى أجنبية، بينما هو يزني بملكات الجمال عنوة أو دولاراً [١]، ولا الذي يضرب المسلمين بالسوط ويسجنهم لأنهم طالبوا بحقوقهم المشروعة، ويكفّرهم لأنهم قبّلوا ضريح نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم ـ الإسلام للغرب، بالشكل الصحيح المطابق للفطرة، ليرى الغرب كيف يمكن الوحدويّة في قبال الازدواجيّة، فتجمع الدنيا والدّين، والفضيلة والمادّة، والضمير والعمل، فإن شاء قبل وإن لم يشأ فـ ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[٢]، و﴿**ذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾[٣]، وإذ ذاك نرى الغربيين يدخلون في دين الله أفواجاً.

---

(١) أي بما لديه من الدولارات التي سرقها من الشعب.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة الغاشية: ٢١-٢٢.

٢
النظر إلى الهدف فقط

إذا كان اللازم السير إلى الهدف، وهو نجاة البشر من معاطب الدنيا ومهالك الآخرة، فاللازم أن تُصبّ كل النشاطات في هذا الهدف والطريق الموصل إليه، ولا يلتفت الإنسان إلى اليمين والشمال إطلاقاً، لأن الالتفات يوجب صرف بعض النشاط في غير الهدف، حال ذلك حال من يريد الذهاب إلى النجف الأشرف من بغداد، فإذا توقف في الطريق للتفرج على مرج أو حقل[١] أو ما أشبه، كان ذلك معوّقاً له عن الوصول إطلاقاً، أو في الوقت المحدّد.

فإذا كان طريق الوصول إلى الهدف الذي ذكرناه يحتاج إلى مليار من الدنانير، فإذا صرف مائة دينار من ذلك في فتح معمل لجماعة، أو ترميم دار لشخص، أو ما أشبه ذلك، كان ذلك موجباً لتأخير الوصول بقدر المائة، حتى يحصلها قاصدو الهدف من جديد..

إن الهدف يحتاج إلى جمع جميع الطاقات لا تشتتها، وعلى الأقل يكون الأمر من باب (الأهم والمهم)، ومن المعلوم أن العاقل لا يصرف طاقته في المهم إذا دار الأمر بينه وبين الأهم، نعم أحياناً لا يمكن صرف مثل هذه الطاقة إلاّ في المهم، وإلاّ فلا تحصل تلك الطاقة، وحينئذٍ لا تعدّ تلك الطاقة طاقة للأهم، ويكون خروجها عن محل الكلام من باب السالبة بانتفاء

(١) المرج: الموضع الذي ترعى فيه الدواب، الحقل: الزرع إذا تشعب ورقه قبل أن يغلظ سوقه.

الموضوع، مثلاً إذا كان إنسان لا يعتقد بالهدف بل يريد صرف ماله في فتح ذلك المعمل المتقدم ذكره، فإذا لم نقبل منه فتح المعمل لم يعط شيئاً للهدف، وحينئذٍ فمن اللازم أن نأخذ منه المال لفتح المعمل، حيث إن المعمل أيضاً يخدم الهدف جزئياً، لتشغيل أنصار الهدف فيه.

نعم إذا كان فتح المعمل يستوعب من النشاط والوقت ما يوجب بُطئ الوصول إلى الهدف، بحيث إنه إذا تركنا هذا المشروع كان الوصول أحسن أو أسرع، فاللازم صرف النظر عن فتحه، وإن انتفى الموضوع بعدم إعطاء المتبرع ذلك المال.. إلى غير ذلك من الأمثلة.

ولذا نجد المتحركين الهادفين، سواءً كانوا دينيّين كالأنبياء والأوصياء عليهم السلام، أم زمنيّين[١]، يقصدون الهدف ولم يصرفوا وقتهم إلاّ في الهدف، مثلاً النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصرف شيئاً من نشاطه في مكة المكرمة إلاّ في هدف تركيز لواء الإسلام، ولم يعمل حتى لبناء مسجد واحد للمسلمين ولا مكان لتجمع المؤمنين، بل كان تجمعهم إمّا في دار هذا، أو المسجد الحرام أيّام الحج، أو ما أشبه ذلك، ولكن لمّا جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنوّرة، وقد ثبت لواء الإسلام في أرض الواقع، اشتغل ببناء المساجد كمسجده[٢] صلى الله عليه وآله وسلم

(١) (الزمنيون) رجال السياسة أو الفكر أو الاختصاصات ممن لم يكن هدفهم الرئيسي (الدين).

(٢) المسجد النبوي الشريف، بناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام بعد نزولهما إلى المدينة المنورة وبمعونة من المسلمين، بالقرب من دار أبي أيوب الأنصاري وكان مساحة المسجد ثلاثة آلاف وستمائة ذراع تكسيراً، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القبلة فيها إلى بيت المقدس ثم حولّت القبلة إلى الكعبة المشرفة في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة، ثم زيد في بنائه في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعده، وللمسجد النبوي أحكام خاصة مذكورة في الفقه منها: استحباب المؤكد للصلاة فيه، وأن الصلاة فيه يعدل ألف صلاة وفي رواية عشرة آلاف وفي رواية خمسين ألف صلاة، ومنها: حرمة المرور للجنب والحائض والنفساء فيه فضلا عن اللبث فيه، وغيرها.

وسبعة وأربعين مسجداً آخر[١] في مختلف أحياء المدينة وضواحيها كما يحدّثنا بذلك التاريخ.

ومن أمثلة الزمنّيين (غاندي)[٢] فإنه حين الحركة التحررية كان كل جهده في الحركة، وكانت تجمعات حزب المؤتمر إما في البيوت أو الصحاري أو المؤسسات الموجودة سابقاً. وهكذا كان حال الحركيين في استقلال إيران والعراق وجنوب أفريقيا وغيرها.

ولا يخفى أن التخلص من الأمور الجزئية أو الوقتية، إلى الأمور الكلية والهدفية، بحاجة إلى تعقل كافٍ ونفس كبيرة قادرة على تجاوز الجانبيّات.

---

(١) أمثال: مسجد قبا، مسجد مشربة أم إبراهيم، مسجد القبلتين، مسجد رد الشمس (الفضيخ)، مسجد فاطمة عليها السلام، مسجد الفتح أو مسجد الأحزاب أو مسجد الأعلى، مسجد أمير المؤمنين عليه السلام، مسجد سلمان، مسجد ذباب أو مسجد الراية، مسجد الغمامة، مسجد الإجابة، مسجد المباهلة، مسجد أبي ذر الغفاري، مسجد ثنية الوداع، مسجد الشجرة، مسجد المُعرَّس، مسجد السقيا، مسجد بني عذرة، مسجد عرق الظبية، مسجد الإثابة، مسجد البقيع، مسجد بلال، مسجد بني حارثة، مسجد بني دينار، مسجد الخلوة، مسجد بني قريظة، مسجد البيضة، مسجد الجمعة، مسجد الرُّمادة، مسجد الصادرة، مسجد الصهباء، مسجد العرج، مسجد العصر، مسجد غزالة، مسجد الأعمى، مسجد الفرْع، مسجد مِدْران، مسجد المُقمّل، مسجد المنارتين، مسجد المنزلة، مسجد بني ظفر، مسجد البغلة، مسجد عروة، مسجد المغسلة، مسجد الفسح، مسجد بني حرام، مسجد سلع، مسجد المصبح، مسجد الخزبة، وغيرها من المساجد، للتفصيل يراجع كتاب (من المساجد والمزارات في الحرمين الشريفين) للإمام المؤلف قدس سره.

(٢) (موهنداس كرامشاند) (١٨٦٩ـ ١٩٤٨م): فيلسوف ومجاهد هندي، ولد في بور بندر . اشتهر بلقب «المهاتما» أي النفس السامية، دعا إلى تحرير الهند من الإنجليز بالطرق السلمية والمقاومة السلبية بعيداً عن العنف، يعد من أبرز دعاة السلام، أدت جهوده إلى استقلال الهند عام ١٩٤٧م . اغتاله براهماتي متعصب.

٣
إيقاف غير المغرضين أمام المغرضين

إنه في بلاد الإسلام، وفي الغرب، وغير الغرب كالهند والصين، جماعات وتجمعات تخالف نهضة المسلمين في أنفسهم، بتطبيق الآيات الثلاث[١] التي ذكرناها في كتاب (إنقاذ المسلمين)[٢] وغيره، وفي نشر دينهم في الغرب وغير الغرب، ليجدوا أذناً واعية في قبول هذا الدين الفطري الذي دلّ الدليل العقلي على كل أصل من أصوله وفرع من فروعه.

وهؤلاء المخالفون، إما لاجتهاد لهم في الخلاف، وإما لعمالة السياسيّين الذين يرون في هذا الأمر كسر شوكتهم، وإما لسوابق حروب وما أشبه بينهم، وإما لأنهم عرفوا الإسلام من خلال حكم الأمويّين والعباسيّين والعثمانيّين ومن إليهم، ممن شوّهوا سمعة الإسلام بفلسفاتهم الفكرية، أو تطبيقاتهم العمليّة.

ولا شك أنّ هؤلاء المخالفين أكثرهم ليسوا معاندين، إذ المعاند قليل على الأغلب، فاللازم أن يُتخذ قبال هذه الجماعات المناوئة أمران:

---

(١) وهي آية (الوحدة) و(الإخوة) و(الحرية) الآتية الذكر.

(٢) (إنقاذ المسلمين) من مؤلفات الإمام الشيرازي ﷺ في قم المقدسة شعبان سنة ١٤١١هـ، طبع مؤسسة الوعي الإسلامي بيروت لبنان ١٤١٤هـ ١٩٩٤م (٣٢ صفحة ١٧×١٢)، ترجم إلى الفارسية بعنوان (نجات مسلمين) ترجمه سيد عبد الحميد موسوي ط قم المقدسة، وترجم إلى الأردو: (مسلمانون كي نجات)، ترجمه طيب آغا جزائري، خط: ظفر صادق، طبع: علماء وواعظين بوست بكس لكهنو، ١٩٩٦م، وترجم أيضاً إلى الأردو: (آزادي مسلم)، ترجمه رياض حسين جعفري، طبع: ادارة منهاج الصالحين، لاهور باكستان ١٩٩٦م.

الأول: فصل غير المعاند عن المعاند، حتى يبقى المعاند فقط في الميدان، والفصل يكون بنشر الوعي بين تلك الجماعات، ومن الواضح أن غير المعاند إذا عرف الحق لم يبق في فلك المعاند[١].

الثاني: تنبيه أعداء أولئك الجماعة المناوئة ضدّهم، لكفّهم عن المقاومة، إذ في العالَم عادةً، جماعة عدوة لجماعة أخرى، حتى أن الله سبحانه يقول: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً**﴾[٢]، والجعل معناه أنه تعالى خلقهم لتكميل الامتحان[٣]، وقد خلق الله سبحانه مع آدم عليه السلام الشيطان، وهكذا [٤]. حتى يقاوم أعداء تلك الجماعات، تلك الجماعات المعاندة، وبذلك ينفسح المجال للمسلمين في نشرهم الوعي بلا مقاومة.

إنه لا شك لا ينتهي الأمر عند هذا الحدّ، إلاّ أنّه يكون العداء والمقاومة أقل، وفي بعض الأحيان يتلاشى.

لكن من الواضح أن هذا البند الثالث[٥] وبعض البنود الأخر في هذا

---

(١) فعن أبي الصلت الهروي قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «رحم الله عبدا أحيا أمرنا» فقلت له: وكيف يحُيى أمركم؟ قال: «يتعلم علومنا ويعلّمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا». (عيون أخبار الرضا عليه السلام): ج١ ص٢٧٥ ب٢٨ ح٦٩.

(٢) سورة الأنعام: ١١٢، سورة الفرقان: ٣١.

(٣) انظر تفسير (تبيين القرآن) للإمام الشيرازي قدس سره سورة الفرقان: ٣١: (.. ﴿**وَكَذَلِكَ**﴾ كما تركنا أعداءك ليعادوك، حتى تتم الحجة ﴿**جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ**﴾ بأن تركناهم حتى يعادوا الأنبياء، وذلك لأن الدنيا دار اختيار واختبار، وقوله: ﴿**جَعَلْنَا**﴾ كقولك: «جعل الملك الناس مفسدين» إذا تركهم وشأنهم، وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله..).

(٤) فقد جعل للنبي إبراهيم عليه السلام نمرود، وللنبيين موسى عليه السلام وهارون عليه السلام فرعون وهامان، ولرسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان والمنافقين، ولأمير المؤمنين عليه السلام وللإمام الحسن عليه السلام معاوية، وللإمام الحسين عليه السلام يزيد، وهكذا.

(٥) وهو (إيقاف غير المغرضين أمام المغرضين).

الكتاب يحتاج إلى جماعات أقوياء مادّةً وعزماً واحتجاجاً ووسائلَ، من المسلمين المخلصين في الغرب، ولا يُزعم أن أمثال هذه الجماعات عسيرة جداً، فإن الشجرة الباسقة تبدأ نواة صغيرة، وهكذا أغلب شئون الحياة في ما رأيناه في هذه الدنيا.

ولعلّ من القريب أن يبتدأ عشرة أشخاص لهم مواصفات حركية من النزاهة والأخلاق والاندفاع والزهد والتضحية، الذين يُطبّقون هذه الآية على أنفسهم: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**﴾[١]، في السير في العالم لأجل تحريك غير المتحركين للسير في هذا الهدف، ومن الممكن ـ قريباً ـ أن يتحرك لا المسلمون المتحمسون في تلك البلاد فحسب، بل يتحرك جماعات من غير المسلمين للمؤازرة، إذ كثير من الناس إذا أوقظوا تيقّظوا، فإن الفطرة في داخل كل إنسان ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾[٢]، من أكبر أعوان المصلحين على طول الخط، و﴿**لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ**﴾[٣]، بالإضافة إلى وعده سبحانه: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[٤] وإذا جاء نصر الله سبحانه ﴿**فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ**﴾[٥].

---

(١) سورة التوبة: ٢٤.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

(٣) سورة الروم: ٣٠.

(٤) سورة محمد: ٧.

(٥) سورة آل عمران: ١٦٠.

٤
اللاعنف

اللاعنف من الضروري لمن أراد الإنقاذين: إنقاذ المسلمين وإنقاذ غير المسلمين.

١: إنقاذ المسلمين من الاستعمار والاستثمار، وتوحيدهم وتحريرهم وإرجاع الأخوّة الإسلامية إليهم، بل وإنقاذ كل العالم الثالث، إذ يلزم إنقاذ المستضعفين في منطق الإسلام والعقل.

٢: وإنقاذ الغرب إلى صحة العقيدة والعمل والأخلاق، إذ الإسلام دين الإنسانية جميعاً، ﴿**إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾[١]، و﴿**مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾[٢].

فيلزم أن يكون ذا أخلاق رفيعة في العلم والحلم والصبر والعفو والاستقامة والهدفية وسائر الأخلاق الحسنة، وأن لا يكون متصفاً بالأخلاق السيئة، كالكبر والغرور والكسل والضجر، وسوء الأخلاق والشقاق، وكونه ذا وجهين وذا لسانين وما أشبه. ومن أهم ما يلزم أن يتصف به (اللاعنف)، فإن العنيف ينفضّ الناس من حوله ولا يصل إلى هدفه، قال سبحانه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾[٣].

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٢) سورة سبأ: ٢٨.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

إن الشخص أو الجمعية أو الجماعة ـ عادة ـ لا يتمكن من أن يُقدّم كل الناس في كل الأمور، مهما أوتي من الفضائل، وإنما يتمكن من بعض الشيء بالنسبة إلى بعض الناس، ولذا فلا يتوهم الشخص أنه إذا لم يتقدم إنسان أو جماعة حسب ما يريد فإنه يلزم عليه ـ أو يجوز له ـ أن يطاردهم أو يطردهم أو يعاقبهم ولو بهجر زمان، أو كلمة نابية، أو عقاب حرمان.

إن بعض الناس الذين يحبّون الإصلاح يضغطون على أعصابهم ويتخذون العنف، فإذا قوي بشيء من القوّة يسترسل في الطرد والعقاب، ولو بقدر استحقاق الطرف المسيء، يقول سبحانه: ﴿**وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾[١]، و﴿**وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[٢]، وورد أيضاً: «يا علي، ثلاثة من مكارم أخلاق الدنيا والآخرة: لين الكلام والسخاء والعفو عند المقدرة»[٣].

وقد نظمها الشاعر في قوله:

مكارم الأخلاق في ثلاثة منحصـــرة

لين الكلام والسخاء والعفو عند المقدرة

إن (اللاعنف) وقد ورد بهذا اللفظ في روايتين[٤] عنهم عليهم السلام، من

---

(١) سورة الأنعام: ٥٢.

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

(٣) جاء في الرواية: «يا علي: ثلاثة من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة: أن تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم عمن جهل عليك» . مكارم الأخلاق: ص٤٣٥ الفصل٣ في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام.

(٤) المورد الأول راجعه في كتاب (تهذيب الأحكام): ج٤ ص٩٦ باب من الزيادات في الزكاة ح٨ وفيه: قال أبو عبدالله عليه السلام: «بعث أمير المؤمنين عليه السلام مصدّقاً (وهو الجابي للزكاة) من الكوفة إلى باديتها فقال له: انطلق يا عبدالله وعليك بتقوى الله وحده.. فإذا أتيت ماله فلا تدخله◄

أصعب الأمور تحملاً، ومن أشهى الأمور ثمرة، ومن أفضل ما يوجب جمع الناس حول الفضيلة. وعكسه (العنف) فهو من أقرب الأشياء إلى طبيعة الإنسان الجاهل، ومن أكثر أسباب العطب، ومن أهم موجبات الفشل وانفضاض الناس من حول الإنسان.

من أجل ذلك يحتاج الأمر إلى مجاهدة كبيرة جداً، قال رسول الله ﷺ: «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله ﷺ وما الجهاد الأكبر؟ قال ﷺ: جهاد النفس»[١]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»[٢].

وقد ذكرنا جملة من الكلام في اللاعنف في كتاب (إلى حكم الإسلام)[٣] وغيره[٤]، وعلى هذا فالأمر يحتاج إلى تدريب عميق وتمرين شاق، وضبط للأعصاب خصوصاً في موارد الانزلاق، وبالأخص إذا وصل الإنسان إلى المال والسلطة والسلاح.

◄ إلاّ بإذنه فإن أكثره له، فقل له: يا عبدالله أتأذن لي في دخول مالك، فإن أذن لك فلاتدخل دخول متسلط عليه فيه، **ولا عنف** به..» .

المورد الثاني: راجعه في كتاب (مستدرك الوسائل): ج١١ ص١٨١ب٤ من أبواب جهاد النفس ومايناسبه ح٢٣، وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قام رجل يقال له همام وكان عابداً ناسكاً مجتهداً، إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب فقال يا أمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه فقال: يا همام المؤمن هو الكيس الفطن .. لا شجع، ولا هلع، **ولا عنف**، ولا صلف..» .

(١) الكافي: ج٥ ص١٢ باب وجوب الجهاد ح٣.

(٢) معاني الأخبار: ص١٦٠ باب معنى الجهاد الأكبر ح١.

(٣) (إلى حكم الإسلام): من مؤلفات الإمام الشيرازي رحمه الله في كربلاء المقدسة، ٢٤ ربيع الأول ١٣٨٢هـ طبع في لبنان والكويت، وإيران ط: دار القرآن الحكيم، قم المقدسة (٢٠٠صفحة ٢٤×١٧).

(٤) راجع أيضاً: (اللاعنف في الإسلام) و(الفقه: السلم والسلام) و(السبيل إلى إنهاض المسلمين) و(اللاعنف منهج وسلوك) و(الفقه: طريق النجاة) وغيرها من مؤلفات الإمام الشيرازي رحمه الله.

٥
عدم التهاتر وترك العقوبة

من الضروري على القائمين بالحركة: الحذر الأكيد من المهاترات وعقوبة العاملين إلاّ بأخف القدر لدى أشد الاضطرار، وإذا وصلوا إلى السلطة يلزم العفو العام، خصوصاً بالنسبة إلى الأثرياء وطبقة الحكّام السابقين والعلماء، وقد فعل ذلك الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين علي عليه السلام قبل وصولهما إلى الحكم، وبعد وصولهما إليه، فهل سمعنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ـ وهو صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في أشدّ الاضطهاد ـ إلاّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[١]، وبعد أن وصل صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحكم في المدينة، كان يعفو ويعفو حسب أمر الله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ**﴾[٢] ولما جاء صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة قال لرؤساء الحروب والثورات ضدّه وضدّ الإسلام: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٣].

وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام في عهد من تقمّص الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. ولما وصل عليه السلام إلى الحكم قال: «مننتُ على أهل البصرة كما منّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أهل مكة»[٤].

ولم يقتل أي منهما (صلوات الله عليهما) قتل صبر[٥] عالماً ولا حاكماً ولا

---

(١) الخرائج والجرائح: ج١ ص١٦٤ ب١ ح٢٥٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج٩ ص١٨٣ ب٤ من أبواب زكاة الغلات ح١.

(٤) الاحتجاج: ج١ ص٢٧٨ باب احتجاجه عليه السلام على الخوارج.

(٥) المقتول صبراً: قيل: المحبوس حتى يُقتل أو من يوثق ثم يُقتل، وقيل: المعذّب حتى الموت،

ثريّاً، حسب ما وجدناه في التواريخ.

هذا بالإضافة إلى أن ما ذُكر ـ من عدم التهاتر وترك العقوبة ـ عقلي قبل أن يكون شرعياً، فإن القتل ومصادرة الأموال والسجن والتعذيب كلها تثير الناس أيّما إثارة، مما يجمعهم ضدّ الإنسان الذي يريد التحرك، فيسبّب أن تفشل خطته ولا يصل إلى الهدف، والسباب والمهاترة والتهديد من أسباب ذلك. نعم، إذا اضطر الإنسان إلى العقاب فاللازم الاكتفاء منه بأقل قدر معقول، مثلاً يأخذ الكفيل ممن يخشى عواقبه، أو يسجنه سجناً مرفهاً، كي لا يستفزه ولا يستفز ذويه وأصدقاءه وأهل نحلته.

والكل يعلم أن السجن في بعض بلاد الدنيا أقساطي[1] أو ما

وقيل: من قُتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ فإنه مقتول صبراً، وقيل غير ذلك. وقد ورد كراهة قتل الحيوان صبراً، بأن يمسك حياً ثم يرمى بشيء حتى يموت.

ويرى بعض المحققين أن رسول الله ﷺ لم يقتل أحداً بيده أبداً. وفي أقصى حالات الضرورة كان يأمر بقتل من يستحق القتل، وفي روايات العامة: (إن رسول الله ﷺ لم يقتل يوم بدر صبراً إلاّ ثلاثة: عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وطعيمة بن عدي). ـ ولكن الأخير (طعيمة) قتله حمزة عليه السلام ـ انظر (المصنف لابن أبي شيبة): ج٨ ص٤٧٧، وفي رواية: (لم يقتل رسول الله ﷺ يوم بدر صبراً الاّ عقبة بن أبي معيط) المصدر السابق. ولا يخفى أن المراد بالقتل صبراً هنا ـ بعد التسليم ـ ليس بعض المعاني المذكورة بل ربما كان: المقتول جهراً بين الناس، أو الذي يهدد بالقتل ثم يُقتل أو ما أشبه. كما فسر قتل الصبر بها أيضاً (انظر مسالك الأفهام). وفي رواية عن الصادق عليه السلام أنه قال: «لم يقتل رسول الله ﷺ صبراً قط غير رجل واحد: عقبة بن أبي معيط» والمراد أمره بقتله والصبر بمعنى من هُدد بالقتل أو ما أشبه.

(١) جاء في كتاب (كيف ينظر الإسلام إلى السجين؟) للإمام الشيرازي رحمه الله: باب اختيار مكان السجن ص١٤: (الخامس والعشرون: للسجين أن يطلب نقل سجنه من مكان إلى مكان آخر، إذا لم يكن محذور للحاكم في ذلك، مثلاً: إن كان سجين في بغداد فمن حقه أن يطلب نقله إلى البصرة أو بالعكس، فإن (كلّي) السجن من حق الحاكم لا (خصوصياته)، بل احتملنا في (الفقه) صحة السجون الأقساطية، والسجون في بيت أو نحوه إذا أراد السجين ذلك ولو في ◄

أشبه[١]. نعم الرسول الأعظم ﷺ وعلي أمير المؤمنين عليه السلام دافعا عن أنفسهما ومن تحت لوائهما، عندما بدأهم القوم بالقتال، فانتهى الأمر أحياناً إلى القتل وذلك في الحروب التي أثارها الأعداء عليهما من غير حجة ولا تبرير[٢]. وقد ذكرنا ذلك في بعض الكتب المفصّلة.

إن الإسلام بالإضافة إلى أنه دين السلام، هو دين العقل والإنسانية، ومن الواضح لدى العقلاء أن الحكم يلزم أن يكون طويل الأمد، لا قصيره، إذا أراد الحاكم استمرارية هدفه ومنهجه، وذلك ما لا يتلاءم مع التهديد فكيف بالأكثر منه إلى أن يصل إلى القتل.

لكن هذا يحتاج إلى أكبر قدر من ضبط الأعصاب واتزان النفس والجنوح إلى العقل والتجربة، أما الحكام الذين يتصورون أنهم يختفون وراء الكواليس ثم يأمرون جلاوزتهم بمعاقبة الناس ويكونون في أمن من توجيه التهم والأحقاد إليهم، فإنهم على خطأ كبير، إن (الجلواز)[٣] إذا فعل ما

◄ دار نفسه، إذا لم يكن فيه تكليف زائد على الدولة، أو كان السجين بنفسه يتحمل التكاليف الزائدة، هذا مع ضمان بقائه بحيث لا يمكن هروبه، كما إذا وعد بأن لا يهرب والحاكم يعلم أن كلامه صحيح، إلى غير ذلك).

(١) راجع للتفصيل كتاب (كيف ينظر الإسلام إلى السجين؟) للإمام الشيرازي رحمه الله: من عناوين الكتاب: من حقوق السجين، أقسام السجن، الأصل حرية الإنسان، عدم ممارسة التعذيب، التعذيب ظاهرة غير إسلامية، الذي يُسجن في الإسلام، أضرار السجن، فضح التعذيب. تم تأليف الكتاب في قم المقدسة. وطبع في مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر بيروت لبنان، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م (٦٤ صفحة٢٠×١٤)، كما طبع في الكويت هيئة محمد الأمين ﷺ ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م. وترجم إلى الإنجليزية، طبع: هيئة الإمام الشيرازي العالمية ٥٧ صفحة، ٢٠٠٢م.

(٢) قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.سورة الحج: ٣٩.

(٣) الجلواز: الشرطي وجمعه: الجلاوزة.

لم يأمر به الحاكم يراه الناس من الحاكم، فكيف بما إذا كان الأمر منه، وقد قال الشاعر[١]:

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلـم

وفي القرآن الحكيم: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[٢]، ولعلّ[٣] ذكر ﴿**الْمُؤْمِنُونَ**﴾ ـ مع أن الكل[٤] كذلك لأن من طبيعة العمل الظهور ـ لأن المؤمن هو المخاطب الذي يستمع إلى كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولذا كان نداء القرآن أحياناً هكذا، ومنه قوله تعالى: ﴿**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[٥] وأشباه هذه الآية.

ولذا فاللازم التحذر حتى من الكلمة النابية: «فرُبّ كلمة سلبت نعمة، وجلبت نقمة»[٦].

وعلى أي حال فما ذكرناه في هذا الفصل يحتاج إلى تربية نفسية فائقة، وشغف بالوصول إلى الهدف مهما لقي المصلح من عنت وصعوبة.

---

(١) وهو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني من مضر كان يعتبر: حكيم الشعراء في الجاهلية، وهذا البيت من قصيدته المشهورة والتي تعدّ من المعلقات السبع.

(٢) سورة التوبة: ١٠٥.

(٣) هذا حسب ظاهر معنى الآية الكريمة، وقد فسرت الآية بمعان أخر تخص المؤمنين، ويراد بذلك الإمام المعصوم عليه السلام.

(٤) أي حتى غير المؤمنين.

(٥) سورة البقرة: ٢.

(٦) نهج البلاغة: باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه رقم ٣٨١.

٦
الاستفادة من جميع الطاقات

إن الإنسان العامل خصوصاً في مثل هذين الهدفين الرفيعين: (إنقاذ المسلمين والعالم الثالث) و(هداية غير المسلمين إلى الرشاد في الدنيا والآخرة) بحاجة إلى كل ذرّةٍ ذرّة، وقطرةٍ قطرة، وفردٍ فرد، فاللازم أن لا يفرّط العاملون في هذا الحقل أية طاقة وأيّ شخص، وإنّي أذكر كيف كنّا في العراق قبل تغلغل الاستعمار فيه ـ قبل الحرب العالمية الثانية ـ لا نفرّط حتى بما يرى اليوم (نفايات)، فمثلاً: قشور الرقّي والرمان والخيار والباذنجان وما أشبه كانت تستعمل للمخلّلات، وإطعام الدواجن، وصبغ الألبسة، والإدام، والخلط بالأرز، وجعلها مربيات، وما أشبه، والحصران العتيقة كانت تستعمل وقوداً، والفضلات للسماد والوقود ونحو ذلك، والرماد لتنظيف الظروف ونحوها، إلى غير ذلك.

كما كان كل فرد ـ حتى الأطفال والمعتوهين ـ يعمل في الإطار المعقول والمقبول، كل في حقل مناسب له، فالأطفال للكنس البسيط أو مساعدة الآباء ومن إليهم في الدكاكين ونحوها، أو سقي الحديقة أو إطعام الدواب والدواجن، والمعتوه لبعض ذلك أو نحوه، والنساء للغزل والخياطة والأعمال البيتية والرضاع، وغير ذلك، أما الأشخاص الكبار فكانوا لمختلف الأعمال، ولذا لم تكن حاجة إلى أيّة بضاعة غربية إطلاقاً.

إن الهدف الذي ذكرناه ـ من إنقاذ العالم عن الانحراف الديني أو الدنيوي ـ أولى بالحاجة إلى كل قطرة وقطرة، وذرّة وذرّة، وإنسان وإنسان في السير نحو الهدف.

فلا يتلف حتى مثل الرسالة البريدية التي طرف منها بياض، فيمكن أن يكتب عليه المذكرات وما أشبه، وإذا فرض وجود ماكنة لتبديلها إلى ورق أبيض فهو أولى.

وعلى الفرد الحركي أن يوزّع عمله بين أعماله الشخصيّة وأعماله الهدفية.

وإننا حيث غفلنا عن الحياة ومقوماتها وصرنا سادة في الأعمال أصبحنا عبيداً للغرب.

والهادفون يحتاجون:

أولاً: إلى استقلال أنفسهم عن الاحتياج.

وثانياً: إلى إنقاذ غيرهم.

ولذا يحتاجون إلى كل دقيقة من أعمارهم، وإلى كل قطرة من إمكانياتهم، وقد ورد أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعه في دول الإسلام كانوا كذلك، حتى أنه:

كان صلى الله عليه وآله وسلم ينام على الحصير حتى يؤثر في جنبه[1].

---

(١) روى الشيخ الجليل الحسين بن سعيد الأهوازي في كتابه (الزهد): ص٥٠ ح١٣٤، عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل وهو على حصير قد أثّر في جسمه، ووسداة ليف قد أثّرت في خدّه، فجعل يمسح ويقول: ما رضي بهذا كسرى ولا قيصر، إنهم ينامون على الحرير والديباج وأنت على هذا الحصير؟ قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لأنا خير منهما والله، لأنا أكرم منهما والله، ما أنا والدنيا، إنما مثل الدنيا

وكان ﷺ يعطي للمستعطي حتى ثوبه[١].

وكان ﷺ في أوقات فراغه ـ وما أقلّه ـ يدبغ الجلد[٢]..

وهكذا وهلمّ جرّاً.

كما كان ﷺ يجمع في كفه النواة ـ حين يأكل التمر ـ لأجل إطعام الشياه[٣].

كما أن عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام كان ينام على التراب، ويجلس على التراب حتى لقّب بأبي تراب[٤]..

كمثل رجل راكب مرّ على شجرة ولها فئ، فاستظل تحتها، فلما أن مال الظل عنها ارتحل◄ ◄فذهب وتركها».

وفي (مكارم الأخلاق): ص٣٨ الفصل٥ من الباب الأول: «كان ﷺ ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره».

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يسأله أحد من الدنيا شيئا إلا أعطاه، قال: فأرسلت إليه امرأة ابناً لها فقالت: انطلق إليه فاسأله، فإن قال: ليس عندنا شئ، فقل: أعطني قميصك، قال: فأخذ قميصه فرمى به إليه». انظر (مستدرك الوسائل): ج١٥ ص٢٦٩ ب٢٣ من أبواب النفقات ح٢.

(٢) «كان النبي صلى الله عليه وآله يرقع ثوبه ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ويركب الحمار، ويردف، ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله..» انظر (جامع أحاديث الشيعة): ج١٦ ص٦٩٥ ب٨ من أبواب أحكام الملابس ح١٤.

وسُئلت إحدى زوجاته: ما كان النبي ﷺ يصنع إذا خلا؟ قالت: (يخيط بثوبه ويخصف نعله). انظر (مكارم الأخلاق): ص١٦ الفصل٢ من الباب الأول.

(٣) إشارة إلى مارواه القطب الرواندي رحمه الله في كتابه الدعوات: ص١٤١ ح٣٥٦: (وكان صلى الله عليه وآله يأكل الرطب بيمينه فيطرح النوى في يساره ولا يلقيه في الأرض، فمرّت شاة فأشار إليها فدنت منه فجعلت تأكل من كفه اليسرى، ويأكل صلى الله عليه وآله بيمينه حتى فرغ).

(٤) قال عمار رحمه الله خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة العشيرة فلما نزلنا منزلا نمنا فما نبهنا إلا كلام رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «يا أبا تراب لما رآه ساجداً معفراً وجهه في التراب، أتعلم من أشقى الناس؟ أشقى الناس اثنان: احيمر ثمود الذي عقر الناقة، وأشقاها الذي يخضب هذه

وكان عليه السلام يطفئ سراج بيت المال، إذا كان يريد أن يتكلم في غير ما هو من شئون المسلمين[١].

إن تحول الإنسان من سيادة العبيد، إلى سيادة الأسياد يحتاج: إلى العمل الهادف ليل نهار، وإلى الاستفادة من قطرات الإمكانات:

وقد ورد: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾[٢].

و: «مكدوداً في ذات الله»[٣].

ووضع يده على لحيته». انظر (مناقب آل أبي طالب): ج٢ ص٣٠٥ باب تعريف باطنه عليه السلام.

وفي علل الشرايع: ج١ ص١٥٧ ب١٢٥ ح٤، عن ابن عمر قال بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وآله في نخيل المدينة وهو يطلب عليا عليه السلام إذا إنتهى إلى حايط (أي بستان) فاطّلع فيه فنظر إلى علي عليه السلام وهو يعمل في الأرض وقد اغبّر، فقال صلى الله عليه وآله: «ما ألوم الناس إن يكنوك أبا تراب»، فلقد رأيت علياً تمعّر وجهه وتغيّر لونه واشتد ذلك عليه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ألا أرضيك يا علي» قال عليه السلام: «نعم، يا رسول الله» فأخذ بيده فقال صلى الله عليه وآله: «أنت أخي ووزيري وخليفتي في أهلي تقضى ديني وتبرئ ذمتي، من أحبك في حياة مني فقد قُضي له بالجنة، ومن أحبك في حياة منك بعدي ختم الله له بالأمن والايمان، ومن أحبك بعدك ولم يرك ختم الله له بالأمن والايمان وآمنه يوم الفزع الأكبر، ومن مات وهو يبغضك يا علي مات ميتة جاهلية يحاسبه الله عزّ وجل بما عمل في الاسلام».

(١) جاء في (شرح إحقاق الحق) للسيد المرعشي رحمه الله: ج٨ ص٥٣٩ الباب الرابع في عدله: (الحديث السادس ما رواه القوم: منهم العلامة المولى محمد صالح الكشفي الحنفي في (المناقب المرتضوية) (ص ٣٦٥ ط بمبئي) قال: كان أمير المؤمنين علي عليه السلام دخل ليلةً في بيت المال يكتب قسمة الأموال فورد عليه طلحة وزبير فأطفأ عليه السلام السراج الذي بين يديه وأمر بإحضار سراج آخر من بيته فسألاه عن ذلك فقال: «كان زيته من بيت المال لا ينبغي أن نصاحبكم في ضوئه».

(٢) سورة الإنشقاق: ٦.

(٣) دلائل الإمامة: ص١١٥ حديث فدك، (خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد) وفيها: «فأنقذكم بنبيه محمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، وبعدما مُني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الضلالة أو فغرت فاغرة المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفيء حتى يطأ صماخها بأخمسه، ويخمد لهبها بحده، **مكدوداً في ذات الله**، قريباً من رسول

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لابنته الزهراء عليها السلام: «تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة»[١].

وقد قال علي عليه السلام:

« فتأسى متأسّ بنبيّه[٢]، واقتص أثره، وولج مولجه، وإلاّ فلا يأمن الهلكة»[٣].

الله، سيداً في أولياء الله».

(١) تفسير مجمع البيان: ج١٠ ص٣٨٢ سورة الضحى، وفيه: عن الصادق عليه السلام: «دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة عليها السلام وعليها كساء من ثلة الإبل، وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أبصرها، فقال: يابنتاه! تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ » وقد روى هذا الحديث الشريف جمع من أبناء العامة بألفاظ قريبة، منهم: الثعلبي في تفسيره: ج١٠ ص٢٢٥، والحسكاني في شواهد التنزيل: ج٢ ص٤٤٥ ح١١٠٩وح١١١٠، والشوكاني في فتح القدير: ج٥ ص٤٦٠ عن العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار عن جابر بن عبدالله، والآلوسي في تفسيره: ج٣٠ ص١٦٠.

(٢) الجملة خبر يراد بها الطلب، والتقدير: فليقتد مقتد بنبيه.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٥٥ ب٦٣ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه ح١٠.

٧
الشباب والشيوخ

لقد جمع أمير المؤمنين علي عليه السلام حقيقة مهمة في كلمة قصيرة، حيث قال: «رأي الشيخ أحبّ إليّ من جَلَد الغلام»[١].

إن من الضروري أن تجمع الجماعات الهادفة إلى الإنقاذ، بين الشيوخ والشباب، فالأولون لأجل الرأي والحكمة والتجربة، والآخرون لأجل العمل والحركة والانطلاق، فإن الأغلب أن الشيخ مخزن التجارب وله النضج والحكمة في كيفية العمل وكمّيّته، بينما الشباب ـ عادة ـ لا تجربة كافية له وإن كان شبابه يوجب النشاط والانطلاق والحركة.

ومن المعلوم أن الجمع بينهما عسير، إذ كل يريد إقصاء الآخر فإن الشيخ يرى طيش الشباب ونزقه وتعجله واندفاعه مما يراها خلاف الحكمة، بينما يرى الشباب ترهل الشيخ وسكونه وتخوفه من الاندفاع وأخيراً جموده، فلا يصلح لأن يكون جزءً من التحرك والهدفيّة.

لكن عقلاء الدنيا يجمعون بينهما، كما نرى من حركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحركة أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الحركات الناجحة.

فقد ورد في التاريخ أن شخصاً قال لعلي عليه السلام: (انهض)، وكان ذلك بعد موت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعد خمس وعشرين سنة، فرآه علي عليه السلام

---

(١) خصائص الأئمة، للشريف الرضي: ص٩٥ من كلماته القصار، و(أحبّ) من باب أفعل التفضيل والحديث يشير إلى أن الإمام عليه السلام: يحب جَلَد الشباب ولكنه حبّه لرأي الشيخ أكثر، والجلد: أي الصلابة. فالجمع مطلوب.

في الجمل، فقال عليه السلام له: هل تذكر تحريضك لي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالنهوض؟

قال الرجل: نعم.

قال له علي عليه السلام: انظر إلى ساحة المعركة، فماذا ترى أعمار هؤلاء الجيش؟

قال: أغلبهم الشبان.

قال علي عليه السلام: وهل كان لي هؤلاء يوم ذاك؟.

ففهم الرجل أن مراد أمير المؤمنين عليه السلام: أنه لم يجد أنصاراً ذلك اليوم، أما اليوم فحيث وجد الأنصار قام بالأمر(١).

ولا يخفى أن الجمع بين الطاقتين يحتاج إلى أكبر قدر من الحكمة ومعرفة وضع الأمور مواضعها، وإلاّ خرج أحدهما عن الميدان بالاختيار، أو أخرج أحدهما الآخر بالقسر.

فاللازم التحفظ عليهما، إذ الحزب أو التجمع إذا صار شيخاً طاعناً في السنّ فقط، لم يتمكن من التحرك، ولذا نرى الأحزاب المقتصرة على الشيبة

---

(١) قال الشيخ الطوسي في كتابه (الاقتصاد الهادي إلى الرشاد) باب الكلام في الإمامة ص٢٠٩-٢١٠: (وأما ترك النكير عليهم باليد فلأنه عليه السلام لم يجد ناصراً ولا معيناً، ولو تولاه بنفسه وخواصه لربما أدّى إلى قتله وقتل أهله وخاصته، فلذلك عدل عنه، وقد بيّن عليه السلام ذلك بقوله: «أما والله لو وجدت أعواناً لقاتلتهم». وقوله عليه السلام بعد بيعة الناس له ونكث أهل البصرة بيعته: «والله لولا حضور الناصر ولزوم الحجة وما أخذ الله على أوليائه أن لا يقرّوا على كظّة ظالم أو سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم عندي أهون عليّ من عفطة عنز». فبين أصحابه عليه السلام: قابل من قابل أهل البصرة وغيرهم لقيام الحجة عليه بحضور الناصر، وكان في ذلك بيان أنه لم يقاتل الأولين لعدم الناصر).

والشيوخ يقفون عند مواضعهم بدون توسع وانتشار وأخيراً لا يصلون إلى الهدف.

كما أن الأحزاب المنحصرة أفرادها في الشباب يتخبطون في السير بدون وعي كامل ونضج تتطلبه الحركة، فاللازم إيجاد الوعي في الجانبين ليعرفوا أن كل واحد يحتاج إلى الآخر حتى يمكن الوصول إلى الهدف.

ولذا نجد سقوط المسلمين عن الوصول في هذا القرن، لأنهم بين شيوخ لا نشاط لهم في الحركة، وإن كان رأيهم ناضجاً، وبين شباب لانضج لهم في كيفية أصل التحرك وكمّيته، ولا دراية لهم في كيفيّة الحركة الناجحة وكميّتها.

ولا يخفى أنه بعد الوصول إلى الإنقاذ فاللازم الإبقاء على كليهما في مراكز الحكم أيضاً، لأن الحكم أيضاً بحاجة إلى الرأي والنشاط، وكل واحد منهما يوجد عند فريق من الطائفتين، وتعود مشكلة صعوبة الجمع بينهما، مما يلزم فيه أكبر قدر من التعقل والحكمة لرؤساء الحكم، وإلاّ انفرط الشمل بعد التجمع والوصول بما يُسقط الحكم.

٨
تغيير واقع الحياة

كل الحركات التي رأيتها في هذا النصف من القرن الحاضر، وسمعت وقرأت عنها في النصف الأول من هذا القرن، كان يعوزها إمّا عدم التأهل للاستمراريّة، وإمّا عدم تغيير واقع الحضارة إلى الحضارة الإسلاميّة، ولذا اخترقها الغرب.

مثلاً: ثورة المشروطة[١] لم يكن لها مقومات البقاء من الأحزاب المفعمة بالحضارة الإسلامية حتى تستمر، ولذا سقطت أوّل نهوضها بعد أن سُمّ الزعيم الديني الآخوند الخراساني قدس سره[٢] وشنق المجاهد النوري رحمه الله[٣] على أيدي الأرامنة المدسوسين من قبل الغرب، فالذي حَكَم عليه بالإعدام

---

(١) ثورة المشروطة التي حدثت سنة ١٣٢٤هـ وذلك لقلب الحكم القائم في إيران من الحكم الاستبدادي إلى حكم دستوري في حكم محمد علي شاه ابن مظفر الدين شاه، ومال إليها جملة كبيرة من العلماء واشترطوا على الحكومة تأييد المذهب الحق الجعفري وحمايته، ووقف ضد المشروطة جمع آخر من العلماء.

(٢) الآخوند الخراساني: هو الشيخ ملا محمد كاظم بن ملا حسين الهروي الخراساني المعروف بالشيخ الآخوند، ولد بطوس سنة (١٢٥٥هـ)، تتلمذ على الشيخ راضي النجفي وعلى الشيخ الأنصاري والميرزا السيد محمد حسن الشيرازي، من أساطين الحوزة العلمية وقد تتلمذ على يديه العشرات من المجتهدين وهو صاحب كتاب (كفاية الأصول) الذي يعدّ من ركائز المتون الدراسية في مختلف الحوزات العلمية، توفي في النجف الأشرف عام (١٣٢٩هـ).

(٣) الشيخ فضل الله ابن الشيخ عباس النوري المولود سنة ١٢٥٨هـ، نزل سامراء سنة ١٢٩٢هـ حيث حضر أبحاث المجدد الشيرازي وكان من مقرري دروسه وهو صهر المحدث النوري وابن اخته، انتقل إلى طهران إماماً ومرجعاً دينياً آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر إلى ان استشهد في سنة ١٣٢٧هـ ودفن في مدينة قم المقدسة.

كان أرمنياً، والذي سحب الكرسي من تحت رجله كان أرمنياً ثانياً، والذي وقف على جثته بعد أن أُسقط من المشنقة وأخذ يقفز على البدن المتلطخ بالدم وبال على وجهه! كان أرمنياً ثالثاً.

وثورة العشرين[١]،

التي قادها الإمام الشيرازي[٢] قُدِّسَ سِرُّهُ في العراق وإن وصل إلى الحكم، وتحقق هدفها وهو إخراج الأجنبي، إلاّ أنه لما مات زعيم الثورة بالسمّ لم يتمكن الآخذون بالزمام من تغيير واقع الحضارة إلى ما يجمع بين الدّين والدنيا، ولذا اخترقت الحضارة الغربيّة العراق مرة أخرى.

---

(١) هي ثورة عارمة ضد الاحتلال الإنكليزي للعراق انطلقت شرارتها عام (١٣٣٨هـ ١٩٢٠م)، حيث أصدر قائد الثورة الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي رحمه الله والذي كان المرجع الأعلى للطائفة، فتواه الشهيرة ضد التواجد الإنكليزي في العراق مما اضطر الإنكليز للخروج بالخيبة والانكسار، وهذا نص الفتوى: (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم).

(٢) الشيخ محمد تقي بن الميرزا محب علي بن أبي الحسن الميرزا محمد علي الحائري الشيرازي زعيم الثورة العراقية، ولد بشيراز عام ١٢٥٦هـ ونشأ في الحائر الشريف، فقرأ فيه الأوليات ومقدمات العلوم، وحضر على أفاضلها حتى برع وكمل، فهاجر إلى سامراء في أوائل المهاجرين، فحضر على المجدد الشيرازي حتى صار من أجلاء تلاميذه وأركان بحثه، وبعد أن توفى أستاذه الجليل تعيّن للخلافة بالاستحقاق والأولوية والانتخاب، فقام بالوظائف من الإفتاء والتدريس وتربية العلماء. ولم تشغله مرجعيته العظمى وأشغاله الكثيرة عن النظر في أمور الناس خاصهم وعامهم، وحسبك من أعماله الجبارة موقفه الجليل في الثورة العراقية، وإصداره تلك الفتوى المهمة. وهو قد فدى استقلال العراق بنفسه وأولاده وكان أفتى من قبل بحرمة انتخاب غير المسلم. وكان العراقيون طوع إرادته لا يصدرون إلا عن رأيه وكانت اجتماعاتهم تعقد في بيته في كربلاء المقدسة . توفي في الثالث عشر من ذي الحجة عام (١٣٣٨هـ) مسموماً بسم الأنكليز، ودفن في الصحن الحسيني الشريف ومقبرته فيه مشهورة.

وهكذا كانت ثورة الجزائر وغيرها.

وكان غاندي من أشدّ المصرّين على منع الفساد وعدم الزنا وعدم الخمر، إلاّ أن الغرب اخترق ثورته بعد موته، فأخذت الهند تموج بهما، إلى غير ذلك من الأمثلة.

إن حضارة الإسلام تحتاج إلى واقعية، وإلاّ فالنهوض الصوري، وإن كان الناهض مخلصاً، لا يكفي في تغيير واقع الحضارة الموجود إلى حضارة إسلامية بديلة.

فمثلاً إن واقع الحضارة الغربية مبنية على الربا والزنا والمكس والغناء، ولا نقصد أنها كلها من أوّليّات حضارتهم، بل هي مختلطة وممزوجة بهذه الأمور، فإذا لم تعالج هذه الأمور، صار الشكل ـ بعد الاستقلال في الحكم ـ إسلامياً، والواقع غربياً، فتبقى الحضارة الغربية على حالها، إذن لابد من جعل المضاربة التي تكون بديلة عن الربا موضع التنفيذ بما يشبع نهمة الناس إلى الربا، وإلاّ اخترق الربا الحضارة القائمة جديداً ـ فرضاً ـ وكذلك يجب إشباع الشباب والشابات بالنكاح المشروع ـ بمختلف لوازمه ـ وإلاّ أخذ مكانه الزنا الصريح أو المتلصص، وهكذا بالنسبة إلى سائر الأمور، كما ذكرنا جملة منها في بعض الكتب.

وهذا الأمر بحاجة إلى قوّة فهم البديل فقهياً أولاً، وإمكانية التطبيق ثانياً، وإلاّ فالقسر ـ إذا فرض ـ لا يدوم. إن الناس يحتاجون إلى ملئ رغباتهم ومقاصدهم، فإذا لم تملئ من الطريق الصحيح الكافي التجئوا إلى الطريق الفاسد، كالبطن إذا لم يشبع بالغذاء الصحي، تطلّب الغذاء الفاسد مما يؤدي بحياة الإنسان أو يمرضه على الأقل.

٩
الانطلاق إلى العالم

اللازم في إنقاذ العالم ـ مسلمهم وغير مسلمهم ـ الانطلاق إلى العالم، ولا أقصد انطلاقاً خاصاً بالمسلمين في الشرق الأوسط، أو في مكان تجمع المسلمين بعنوان دولة، بل أقصد انطلاق أيّ مسلم في أيّ مكان، مثلاً المسلمون في أمريكا قرابة عشرة ملايين[١]، وفي ألمانيا قرابة أربعة ملايين، وفي فرنسا قرابة ستة ملايين، وهكذا [٢]، ولهم الحرّية والمال والقدرة، فإنهم إذا نظموا منظمة كبيرة قويّة دقيقة منطلقة يتمكنون من إقامة الإسلام لأنفسهم في تلك البلاد. ومن إقامة الإسلام ـ بآياته الأربع:

الشورى[٣]، والحريّة[٤]،

---

(١) نشرت جريدة الرياض في عددها الصادر يوم ٣ سمتمبر ٢٠٠٩م مايلي ملخصاً: (المسلمون في أمريكا يصل عددهم إلى ثمانية ملايين تقريباً يتوزعون كالتالي: من عمر (١٨-٢٩)سنة ٢٩٪ ومن عمر(٣٠-٤٩) ٤٨٪ ومن عمر(٥٠-٦٤) ١٨٪ ومن عمر ٦٥ فما فوق ٥٪، بينما يشكل الذكور ٥٤٪ والإناث ٤٦٪).

(٢) في بعض التقارير أن المسلمين في أوروبا أكثر من سبعين مليوناً، وفي تقرير للدكتور أحمد الراوي الرئيس السابق لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/٣٠م: إن عدد المسلمين في أوروبا (٥٠) مليون مسلم، أكثر من سبعة ملايين من خلفية عربية، وفي هذا التقرير أيضا: إن فرنسا تضم حوالي(٥,٥) مليون مسلم، بينما تضم ألمانيا حوالي(٣,٢) مليون مسلم، وبريطانيا حوالي(١,٧) مليون مسلم، وإيطاليا حوالي مليون مسلم وهكذا.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾. سورة آل عمران: ١٥٩، وقوله تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾. سورة الشورى: ٣٨.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾.سورة الأعراف: ١٥٧.

والأمّة[١]، والأخوّة[٢] ـ في بلاد الإسلام الملاصقة أكثرها مع بعض، وإن كان هناك بعض المسلمين بعيدين عن الآخرين لكن يمكن جعلهم جماعة قويّة مستقلة، بفضل القوّة التي يحصل عليها في التجمع الكبير الإسلامي في بلاد الإسلام..

ثم إن المسلمين هناك بإمكانهم أن يجذبوا غير المسلمين إلى الإسلام، إذا تمكنوا من بيان الوجه الناصع للإسلام بأفعالهم وبسلوكهم، فإن الناس مفطورون على حبّ الجمال، في دين كان أو في دنيا، والإسلام له أجمل وجه في العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب، إذ العقيدة الإسلامية كلها مبنيّة على العقل، وأحكام الشريعة ـ على الأغلب ـ عقلية قبل أن تكون شرعيّة، أما الأخلاق والآداب والفضيلة والتقوى والتعاون ونظافة العائلة و... فحدث عنها ولا حرج فكلها مطابقة للعقل والفطرة.

إن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخلاق المجتمع الإسلامي الصغير في مكة، وكذلك في المدينة، هي التي جلبت الناس إلى الإسلام، ثم ثبتّتهم على الإسلام، على طول الخط مع كثرة المشاكل التي لاقاها المسلمون منذ ذلك العهد إلى اليوم.

أمّا مال خديجة عليها السلام وسيف علي عليه السلام[٣]، فقد كانا الجناح لأخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، المال لإعطائه لفقراء المؤمنين حتى لا يموتوا جوعاً، وإعطائه للكفار الذين كانت نفوسهم طيّبة لينجذبوا نحو الإسلام،

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾. سورة المؤمنون: ٥٢.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. سورة الحجرات: ١٠.

(٣) إشارة إلى الحديث الشريف: «ما قام ولا استقام ديني الاّ بشيئين: مال خديجة، وسيف علي بن أبي طالب». انظر (شجرة طوبى): ج٢ ص٢٣٣ المجلس السابع.

أو كانوا يُعطون من جهة تأليف قلوبهم، والسيف لأجل دفع الكفار المعتدين، قال سبحانه: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾[١].

وقد رأينا كيف أن البلاد الإسلاميّة في الاتحاد السوفيتي ـ بعد سقوط إرهاب الشيوعيين وكبتهم ـ رجعوا إلى الإسلام طوعاً ورغبةً، بعد أن مرّت على الإرهاب أكثر من سبعين سنة، أي ثلاثة أجيال..

إن الإسلام يطابق فطرة الله التي فطر الناس عليها، فإذا رآه الناس كما هو، التفّوا حوله، كالمصباح الذي ينجذب الناس إليه في الظلام، ولذا تصرّ الفئات المضادة للإسلام على إطفاء نور الإسلام، لكن ﴿**وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ**﴾[٢].

ومن الممكن أن تكون في مختلف البلاد الغربية، والبلاد شبه الحرّة كالهند، والبلاد الإسلاميّة التي لها بعض الحرّية كباكستان، مختلف الجمعيات والجماعات الهادفة، لأجل تطبيق الآيات الأربع[٣] في بلاد الإسلام، ولأجل جذب غير المسلمين إلى الإسلام في مختلف بلاد العالم..

وبذلك تتحرر بلاد الكبت والإرهاب كالعراق عن حالتها الاستبداديّة، ويكون لكل المسلمين ـ بإذنه سبحانه ـ الحريّة، ويمكن تطبيق الإسلام الصحيح الذي هو مذكور في الكتاب والسنّة، وطبّقته السيرة العطرة.

---

(١) سورة البقرة: ١٩٤.

(٢) سورة التوبة: ٣٢.

(٣) وهي آية: الشورى، والحرية، والأمة الواحدة، والأخوة، والتي قد مرّ ذكرها.

١٠
التفرغ

لابدّ للجماعة العاملة لأجل الإنقاذ: التفرغ لهذه الجهة، فإنه كما لم يجعل ﴿**اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾[١]، كذلك لم يجعل الله سبحانه لرجل من وقتين في حياته، وقت لأجل العمل في إنقاذ العالم، ووقت لأجل مهامه الشخصيّة والعائلية وما أشبه، ولذا نشاهد أن أهل البيت عليهم السلام كانوا أحياناً لايأكلون شيئاً خلال ثلاثة أيام[٢]، وكانوا يجلسون على

(١) سورة الأحزاب: ٤.

(٢) روى الشيخ الصدوق في كتابه (عيون أخبار الرضا عليه السلام): ج٢ ص٤٣ ب٣١ ح١٢٣ باسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وآله في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة عليها السلام ومعها كسرة خبز فدفعتها إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال النبي عليه الصلاة والسلام ما هذه الكسرة، قالت: قرصاً خبزتها للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسرة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث».

وعن ابن عباس: (إن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعاداهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما أن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي عليه السلام من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلاّ الماء وأصبحوا صياماً. فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك..).انظر (جامع أحاديث الشيعة): ج٩ ص٣٦٦ ب٩ من أبواب بقية الصوم الواجب ومايناسبها ح١، وروى هذه القضية العامة منهم: الزمخشري في الكشاف: ج٤ ص١٩٧، والفخر الرازي في تفسيره: ج٣٠ ص٢٤٤، والبيضاوي في تفسيره: ج٥ ص٤٢٨، وأبي السعود في تفسيره: ج٩ ص٧٣، وغيرهم.

التراب[١]، ويكتفون بجلد كبش لمنامهم ليلاً، وتعليف دابتهم نهاراً [٢]، ويموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودرعه رهن عند يهودي بثلاثة أصوع ـ أو أكثر ـ من الشعير لقوت عائلته[٣]، بينما هو صلى الله عليه وآله وسلم بالنظر الدنيوي ملك يستولي على تسع دول في خريطة عالم اليوم، ولم يكن له إلاّ ثوب واحد إذا أنفقه لف الحصير على بدنه المبارك، حتى لا يكون عارياً..

وكذلك يُستشهد علي أمير المؤمنين عليه السلام وعليه دَين، ثلاثة أرباع المليون تقريباً ـ كما في كتاب الوصية من البحار[٤]. وفي ليلة ضربة ابن ملجم كان عليه السلام قد أفطر بالخبز والملح، وهكذا في سائر الليالي[٥]، وهو شيخ كبير

---

(١) روي «كان من تجهيز علي عليه السلام داره: انتشار رمل لين، ونصب خشبة من حائط إلى حائط للثياب، وبسط أهاب كبش، ومخدة ليف». (مناقب آل أبي طالب): ج٣ ص١٢٩ باب مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٢) ففي بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٢٣ ب٩٨ ضمن ح٦ ؛ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما كان لنا إلاّ إهاب (الجلد الذي لم يدبغ منه) كبش، أبيت مع فاطمة بالليل ونعلف عليها الناضح (البعير الذي يستقى عليه الماء) بالنهار». وبقي الأمر كذلك حتى بعد ولادة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام فقد روى الشيخ الطبري في بشارة المصطفى: ص٢١٨ ح٤٤: «فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ (وهو نوع من ورق السلم يدبغ به) كان ينام عليه الحسن والحسين..» .

(٣) عن الإمام الباقر عليه السلام: «ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن درعه مرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعا من شعير، استسلفها نفقة لأهله». قرب الإسناد للحميري: ص٩١-٩٢ ح٣٠٤، وفي مصادر العامة: مسند أحمد ج١ ص٣٠٠ عن ابن عباس: (وترك درعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير) وكذا في سنن ابن ماجه: ج٢ ص٨١٥، وروى بعضهم: عشرين صاعاً.

(٤) فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «قبض علي عليه السلام وعليه دين ثمانماة ألف درهم». انظر(بحار الأنوار): ج١٠٠ ص١٤٥ ب٢ من أبواب الدين والقرض ح١٩.

(٥) راجع (حلية الأبرار): ج٢ ص٢٣٢-٢٣٣ ب٢٧ ح١٩، عن عدي بن حاتم أنه رأى أمير المؤمنين عليه السلام وبين يديه شنّة (القربة الصغيرة) فيها قِراح ماء وكسيرات من خبز شعير وملح، فقال: ◄

السنّ[١]، وكان يكنس بيت المال ثم يصلي هناك شكراً لله سبحانه لتوفيقه له على إيصال الحقوق إلى أصحابها[٢]، إلى ألف قصة وقصة عن زهدهم عليهم السلام في الحياة الموجب لتفرغهم للإنقاذ تفرغاً كاملاً.

ونقرأ في دعاء الندبة[٣]: «بَعْدَ أنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِم الزُّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدّنْيَا الدَّنِيّةِ، وَزُخْرُفِهَا وَزِبْرِجِهَا [٤]، فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ

► (إنى لا أرى لك يا أمير المؤمنين، لتظل نهارك طاوياً مجاهداً، وبالليل ساهراً مكابداً، ثم هذا فطورك)، فقال عليه السلام: «علّل النفس بالقنوع، والا طلبت منك فوق ما يكفيها».

وروي مثل ذلك في زهده عليه السلام في مطعمه عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام والأصبغ بن نباتة والأحنف بن قيس وعلقمة بن قيس وسويد بن غفلة وعمرو بن حريث وغيرهم.

(١) فكان عمره الشريف ثلاثة وستين عاماً حين شهادته، وقد روي عن الشعبي أنه قال: (رأيت علياً ورأسه ولحيته بيضاء كأنهما قطن). راجع (تاريخ الإسلام) للذهبي: ج٣ ص٦٢٣.

(٢) عن أبي عمرو الزاهد ـ الذي قيل في حقه: إنه كان من المغالين في حب معاوية، لكن الحق يعلو ولا يعلى عليه ـ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أمر بكنس بيت المال ورشّه: «يا صفراء غري غيري، يا بيضاء غري غيري. ثم تمثل عليه السلام شعراً: هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه». راجع (كشف الغمة): ج١ ص١٦٤-١٦٥ في وصف زهده عليه السلام في الدنيا.

وهذا الشعر الذي أصبح مثلاً، هو لعمرو بن عدي ابن أخت جذيمة الأبرش، كان يجني الكمأة مع أصحاب له، فكان أصحابه يأكلون ما يجدونه، وكان عمرو يأتي به خاله ويقول هذا القول، فصار مثلاً فأراد أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المثل بيان: إنه لم يتلطخ بشيء من فيء المسلمين، بل وضعه مواضعه. انظر (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير): ج١ ص٣٠٩ باب (جنى)، وروي أنه عليه السلام كان يكنس بيت المال ثم يصلي فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين. انظر (مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام): ج٢ ص٧٩ ح٥٦٤ و(كنز العمال): ج١٣ ص١٨٢ ح٣٦٥٤٦.

(٣) دعاء الندبة: من الأدعية التي تقرأ في الأعياد الأربعة (الجمعة، الفطر، الأضحى، الغدير) وهو من الأدعية المشهورة رواه علماء الطائفة منهم: الشيخ الجليل محمد بن المشهدي في المزار: ص٥٧٤-٥٨٤، والسيد ابن طاووس في الإقبال: ج١ ص٥٠٤-٥١٣، والعلامة المجلسي في بحار الأنوار: ج٩٩ص١٠٤-١١٠ ب٧ والظاهر صدوره من الناحية المقدسة عليه السلام، وقيل: إنه عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) الزخرف: الذهب ويشبّه به كل ممّوه مزوّر، الزبرج: بالكسر الزينة من الجواهر وما شابه.

الْوَفَاءَ بِهِ، فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُم»[١]، فإن الله سبحانه شرط عليهم عليهم السلام في تفويض الأمر إليهم أن يكونوا زاهدين، لا عادلين ونزيهين فقط، وهم عليهم السلام قبلوا بهذا الشرط، بعد ذلك قبلهم الله سبحانه أئمةً للعباد وأركاناً للبلاد. وقد أدّب الله سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بآدابه، ثم فوّض إليه دينه[٢]، إلى أحاديث متعددة في هذا الباب.

إن الإنقاذ ليس لفظاً فارغاً، ولا وصفاً عنوانياً، ولا يتحقق بمن يفكر في أكله ولباسه ومسكنه ومركبه، وقد أبطأ معاوية عن إجابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فدعا صلى الله عليه وآله وسلم عليه قائلاً: «لا أشبع الله بطنه»[٣]، يريد بذلك أيضاً تعليم المسلمين كيف يكونون حتى يُنقذوا العالم، وذمّ علي عليه السلام إنساناً[٤] بأنه:

---

(١) إقبال الأعمال: ج١ ص٥٠٤-٥٠٥ الباب٣٧ في ذكر وظائف يوم عيد الفطر.

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف: عن الحسن الميثمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته عليه السلام يقول: «إن الله أدّب رسوله صلى الله عليه وآله حتى قوّمه على ما أراد ثم فوض إليه فقال: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ**﴾، فما فوض الله إلى رسوله فقد فوّضه إلينا». انظر (بصائر الدرجات): ص٤٠٣ الجزء ٨ ب٥ ح١، علماً بأن الشيخ الثقة محمد بن الحسن الصفار روى في الجزء الثامن من كتابه المذكور في الباب٤ (باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ١٩ حديثاً، وفي الباب ٥ منه في أن مافُوض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد فُوض إلى الأئمة عليهم السلام: ١٣ حديثاً، فضلاً عن أن ثقة الاسلام الكليني قد روى في الجزء١ من الكافي كتاب الحجة باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى الأئمة في أمر الدين: ١٠ أحاديث، وهكذا غيرهما.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٢ ص٢٤٨ ب٥ عن تاريخ البلاذري عن ابن عباس، والصراط المستقيم: ج٣ ص٤٧ عن صحيح مسلم، وفي بحار الأنوار: ج٣٣ ص١٩٠ ح٤٧٢: عن عبد الله بن عمر قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل إليه ـ أي معاوية ـ يدعوه وكان يكتب بين يديه فجاء الرسول فقال هو يأكل، فأعاد عليه الرسول الثالثة، فقال: هو يأكل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا أشبع الله بطنه»، فهل ترونه يشبع). ومن مصادر العامة: صحيح مسلم: ج٨ ص٢٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٥ ص١٧٦.

(٤) هو المنذر بن الجارود: واسمه بشر بن عمرو بن حبيش بن المعلى بن يزيد بن حارثة بن◄

«نظّار في عطفيه، مختال في برديه، تفّال في شراكيه»[١]. نعم: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[٢].

ولكن الكلام في أن من أراد الإنقاذ لا يتمكن من جمع الأمرين: الدنيا المترفة، والإنقاذ الواجب عقلاً وشرعاً، وقد قال سبحانه لداود عليه السلام: «أنك نعم العبد، لولا أنك تأكل من بيت المال»[٣].

◄معاوية العبدي، كان أبوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الأجلاء وأما ابنه فكان زائغاً محباً للدنيا مزهوا بها، شهد المنذر الجمل مع أمير المؤمنين عليه السلام وولاه احدى البلدان فخانه فعزله، وخان الإمام الحسين عليه السلام بتسليم رسوله الى ابن زياد، فولاه ابن زياد الهند أجراً لخيانته، فمات بها سنة آخر سنة ٦١هـ فلم يهنأ بما اجتنته يداه.

(١) نهج البلاغة: ج٣ ص١٣٣ ذيل كتابه عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي حيث قال الشريف الرضي بعد أن ذكر كتابه عليه السلام إليه بعزله قال: والمنذر هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: «إنه لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه»، وقد نقل اليعقوبي في تاريخه: ج٢ ص٢٠٣-٢٠٤، وغيره السبب في قوله ذلك وهو كما يلي: وكتب عليه السلام إلى المنذر بن الجارود، وهو على إصطخر: «أما بعد، فإن صلاح أبيك غرّني منك، فإذا أنت لا تدع انقياداً لهواك أزرى ذلك بك. بلغني أنك تدع عملك كثيرا، وتخرج لاهياً بمنبرها، تطلب الصيد وتلعب بالكلاب، وأقسم لئن كان حقا لتشينك فعلك، وجاهل أهلك خيرٌ منك، فأقبل إليّ حين تنظر في كتابي، والسلام». فأقبل فعزله وأغرمه ثلاثين ألفاً، ثم تركها لصعصعة بن صوحان بعد أن احلفه عليها، فحلف، وذلك أن عليا عليه السلام دخل على صعصعة يعوده، إلى أن قال: فقال صعصعة: يا أمير المؤمنين! هذه ابنة الجارود تعصر عينيها كل يوم لحبسك أخاها المنذر، فأخرجه، وأنا أضمن ما عليه من أعطيات ربيعة. فقال له علي عليه السلام: «ولِمَ تضمنها، وزعم لنا أنه لم يأخذها؟ فليحلف ونخرجه». فقال صعصعة: أراه والله سيحلف. قال عليه السلام: «وأنا والله أظن ذلك». وقال علي عليه السلام: «أما أنه نظار في عطفيه، مختال في برديه، تفال في شراكيه، فليحلف بعد، أو ليدع، فحلف فخلّى سبيله».

(٢) سورة الأعراف: ٣٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٦٣ كتاب المعيشة ح٣٥٩٤ ونص الحديث: عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجل إلى داود عليه السلام: أنك نعم العبد لولا◄

مع أن أكله عليه السلام منه لم يكن ينافي العصمة، لكن القائم على بيت المال يلزم عليه أن يكون كأضعف الناس، كما قال علي عليه السلام لأخي علاء في البصرة[١]: «لئلا يتبيّغ بالفقير فقره»[٢].

وعلى أيٍ، فاللازم أن يعوّد العامل للإنقاذ نفسه على الفراغ، وذلك مما لا يحصل على الأغلب مع التزامه بشؤون الحياة الشخصيّة والعائلية برغد ورفاه.

►أنك تاكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً، قال: فبكى داود عليه السلام، فأوحى الله عزّ وجل إلى الحديد أن: لنْ لعبدي داود، فلان فألان الله تعالى له الحديد، فكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم فعمل عليه السلام ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً واستغنى عن بيت المال».

(١) انظر نهج البلاغة: من كلام له بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي ح٢٠٩. وأخاه عاصم بن زياد.

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي: ج١ ص٤١٠-٤١١ باب سيرة الإمام عليه السلام في نفسه وفي المطعم والملبس إذا ولي الأمر ح٣، باسانيده أنه شكا الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام أخاه عاصم أنه قد غمّ أهله وأحزن ولده بذلك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عليّ بعاصم بن زياد، فجيئ به فلما رآه عبس في وجهه»، فقال له: «أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أخذك منها، أنت أهون على الله من ذلك، أوليس الله يقول: ﴿**وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ۞ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ**﴾ أوليس الله يقول: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ**﴾ - إلى قوله - ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال، وقد قال الله عزّ وجل: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾»، فقال عاصم: يا أمير المؤمنين، فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة، وفي ملبسك على الخشونة؟ فقال عليه السلام: «ويحك إن الله عزّ وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفهسم بضعفة الناس **كيلا يتبيغ بالفقير فقره**»، فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء.

١١
التعقل

إن الحضارة الماديّة التي جرفت كل القيم والموازين والأعراف، سواء في بلادهم أم في بلاد المسلمين أم في بلاد العالم الثالث، لا يمكن الوقوف أمامها بالتهريج والدعاية ومجرد الشعارات الفارغة، ولا يمكن حينئذ إرجاع البشرية إلى طريق الصواب، فإن الأمر أعمق وأكثر هولاً من هذه الأمور.

أمّا زعم الوقوف أمامها بالقوميات، والجغرافيات، واللونيات، والمبادئ المستوردة من نفس أولئك الماديّين، كالشيوعيّة والبعثيّة و الوجوديّة وما إلى ذلك، فليس إلاّ سراباً خادعاً، فإن زعماء هذه المبادئ هم من صنائع أولئك، كما فضحوا أنفسهم عمالتهم، وفضحهم أسيادهم بتصريحاتهم، فانظر كتاب:

(لعبة الأمم)[١]..

و(التبشير والاستعمار)[٢]..

و(مذكرات مس بل)[٣]..

---

(١) لمؤلفه (مايلز كوبلاند) مندوب المخابرات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط، طبع في دار الفتح للطباعة والنشر من تعريب مراد سرخيس.

(٢) لمؤلفه: لعمر بن عبد الله بن عبد الرحمن فروخ، أديب و مترجم و كاتب عربي. ولد في بيروت (لبنان) عام ١٩٠٦م، وتوفي فيها عام ١٩٨٧م.

(٣) لمؤلفته (جرترود مرغريت لوثيان بل) مستشرقة إنكليزية، عُينت في خلال الحرب العالمية الأولى مترجمة وخبيرة في إدارة المخابرات السرية في مصر والبصرة وبغداد، واختصت بالعمل في العراق خاصة بعد انتهاء الحرب، وكانت تنعت بملكة العراق غير المتوجة، ماتت في بغداد سنة ١٩٢٦م.

و(أعمدة الحكمة السبعة)[١]..

و(مذكرات همفر)[٢]..

وعشرات الكتب الأخر، والتصريحات في الجرائد والمجلات وسائر وسائل الإعلام.

إن ما يتمكن أن يقف أمام هذا السبيل الذي ابتلي به أهله، قبل أن يبتلى به الآخرون ـ ألم تكن حرباً العالميتين، دليلاً على ابتلائهم، أولاً؟ ـ إنما هو التعقل في أعلى مراتبه..

فإن الحضارة الماديّة ليست إلاّ جهالة، والعقل هو المقابل للجهل، وكما أن للعقل جنوداً ـ كما في الأحاديث[٣] ـ للتعقل ألف جند وجند، وحيث لم يظهر إلى الآن تعقل بالمستوى المطلوب، لا في العالم الغربي، ولا في العالم الإسلامي، ولا في العالم الثالث، تجري الحضارة الماديّة في مجراها المرسوم لها، بل يزداد الأمر كل يوم إعضالاً، فالفقر الجارف ـ حتى في بلادهم ـ كما ذكرت بعض التقريرات من أنفسهم أن في أمريكا وحدها

---

(١) لمؤلفه (توماس ادوارد لورنس) من كبار رجال الاستخبارات البريطانية، كان ضابط الاتصال بين الحكومة البريطانية والثوار العرب، توفي سنة ١٩٣٥م.

(٢) مذكرات مستر همفر الجاسوس البريطاني.

(٣) حديث جند العقل والجهل من الأحاديث المشهورة والعظيمة، فقد رواها الشيخ الجليل أحمد البرقي في كتابه المحاسن باب العقل من كتاب مصابيح الظلم ح٢٢، والشيخ الكليني في الكافي: ج١ ص٢١-٢٣ كتاب العقل والجهل ح١٤، والشيخ الصدوق في الخصال: ص٥٨٩-٥٩١ أبواب السبعين ومافوقه ح١٣، كلهم عن الإمام الصادق عليه السلام والحديث طويل ومغزاه عميق، وقد صنّف جملة من العلماء والفقهاء كتباً في شرح هذا الحديث، منهم: المولى محمد نصير في كتابه جنة الساعي، وشرح حديث العقل والجهل وجنودهما للمولى محمد كاظم الشاهروي، وكذا العنوان نفسه للسيد محمد علي النقوي، وهداية النجدين وتفصيل الجندين: للسيد حسن الصدر..

ثلاثين مليون فقير، وأن في أوروبا (٢٢) مليون عاطل، وفي روسيا (٤٤٠) ألف جريمة شهرياً[١]، إلى غير ذلك من الجرائم والمآسي التي هي خارجة عن الحدّ والإحصاء..

وكذلك المرض والأميّة، والفوضى، وغيرها .. كل ذلك دليل فشل المادّية من ناحية، وعدم وجود التعقل الكافي في الجانب المادّي والروحي، الموجب لإرجاع الإنسان إلى مقامه اللائق به، من ناحية أخرى.

لذا فعلى الجماعة التي تريد إنقاذ العالَم أن تجنح إلى أكبر قدر من التعقل، فلعلّ الله يحُدث بعد ذلك أمراً، وربما يتصور أن الإنقاذ ضعيف فهو من ناحية الإنسان، ولكن بإرادة الله سبحانه في أقوى القوّة، فإن بيده كل مفتاح، وهو على كل شيء قدير.

وتصور أن الأمر قد انتهى، وأنه لا علاج إطلاقاً، خلاف سنن الله الكونية، ووعده الذي وعده البشريّة في مختلف حقب التاريخ فـ ﴿**أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾[٢]، و﴿**إِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ**﴾[٣].

كما قال الشاعر:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده ... وليس عليه أن يكون موفقاً

وعلى أي حال فاللازم سير الجماعة المصلحة في طريق العقل والتعقل، ويكون لهم حينذاك ﴿**إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**﴾[٤] بإذنه سبحانه.

---

(١) انظر مجلة المجتمع، بتاريخ ٣ رجب ١٤١٥ هـ.ق.

(٢) سورة الزمر: ٣٦.

(٣) سورة الأنعام: ١٧.

(٤) سورة التوبة: ٥٢.

١٢
خدمة الناس

خدمة الناس من أهمّ مقومات الحركة العالمية، فإن الناس لهم حوائج ومن لم يعطهم حاجاتهم لا يلتفون حوله وإن عرفوا أن الحق معه ـ إلاّ القليل القليل ـ ولذا قال سبحانه:

﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[١]، ومن الواضح أن ﴿**أَطْعَمَهُم**﴾ إنما جيء به لقوله تعالى: ﴿**لِإِيلافِ قُرَيْشٍ**﴾[٢] الأنسب بالإطعام، وإلاّ فالإكساء والمسكن والدواء وغير ذلك أيضاً هي من حاجات الإنسان الأساسية، قال سبحانه: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**﴾[٣].

أما أن تقول الحركة: إنّي أريد إصلاح الآخرة فقط، فلتعلم أن الناس لا يلتفون حولها، فلا تصل إلى الهدف، وحتى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد جمع جماعة من قبيلته ليبلّغهم الرسالة هيّأ لهم الطعام[٤]، وذكر بعض المؤرخين

---

(١) سورة قريش: ٣ ـ ٤.

(٢) سورة قريش: ١.

(٣) سورة البقرة: ٢٠١.

(٤) فقد روى الشيخ المفيد رحمه الله القضية المعروفة بقضية يوم الدار في كتابه الإرشاد: ج١ ص٤٩-٥٠ حديث الدار ومقامه عليه السلام: (حديث الدار الذي أجمع على صحته نقاد الآثار، حين جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب في دار أبي طالب، وهم أربعون رجلا يومئذ يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيما ذكره الرواة، وأمر أن يصنع لهم فخذ شاة مع مدّ من البر، ويعدّ لهم صاع من اللبن، وقد كان الرجل منهم معروفا بأكل الجذعة (وهي◄

إنّ علياً عليه السلام أمر بعض ولاته ـ والظاهر أنه من باب المثال ـ أن يطعم كل يوم إطعاماً عاماً في الساحات العامة، فكان يُعطى الطعام في كل يوم لعشرة آلاف إنسان بما فيه عشرة ألوان والتي منها السمك والدجاج[1]، وكان

►ولد الشاة في السنة الثانية الأنثى منها) في مقام واحد، ويشرب الفرق (الفرق: مكيال بالمدينة وهو ستة عشر رطلاً) من الشراب في ذلك المقام، وأراد عليه السلام بإعداد قليل الطعام والشراب لجماعتهم: إظهار الآية لهم في شبعهم وريهم مما كان لا يشبع الواحد منهم ولا يرويه. ثم أمر بتقديمه لهم، فأكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتى تملؤوا منه، فلم يبن ما أكلوه منه وشربوه فيه، فبهرهم بذلك، وتبين لهم آية نبوته، وعلامة صدقه ببرهان الله تعالى فيه. ثم قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام ورووا من الشراب: «يا بني عبد المطلب، إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة، فقال عزّ وجل: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به، يكن أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي» فلم يجب أحد منهم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فقمت بين يديه من بينهم، وأنا إذ ذاك أصغرهم سنا، وأحمشهم ساقا، وأرمضهم عينا، فقلت: أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر. فقال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثانية فاصمتوا، وقمت فقلت مثل مقالتي الأولى، فقال: اجلس. ثم أعاد على القوم مقالته ثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقلت: أنا أؤازرك يا رسول الله على هذا الأمر، فقال: اجلس، فأنت أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي». فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: يا أبا طالب، ليهنئك اليوم إن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك). وقد رواه العامة بألفاظ متقاربة، منهم: أحمد في مسنده: ج١ ص١٥٩ وقال الهيثمي في سنده: رجاله ثقات، ونقل رواية أخرى مطولة مروية عن البزار وأحمد والطبراني في الأوسط ثم قال: ورجال أحمد وأحد اسنادي البزار رجال الصحيح غير شريك وهو ثقة، ورواه النسائي في السنن الكبرى: ج٥ ص١٢٦ ح٨٤٥١، والحسكاني في شواهد التنزيل: ج١ ص٥٤٣-٥٤٧ ح٥٨٠.

(١) قال الإمام الباقر عليه السلام فيما وصف به أمير المؤمنين عليه السلام: «.. وإن كان ليطعم الناس خبز البر واللحم، وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل..». انظر (الأمالي، للشيخ الصدوق): ص٣٥٦ المجلس٤٧ ح١٤. وفي الرواية عن زيد بن وهب قال: (كان علي عليه السلام ◄

مضيف الإمام الحسن عليه السلام المشهور في زمان أمير المؤمنين عليه السلام من تلك الإطعامات العامة.

إنه من اللازم أن تكون إمكانات الحركة، قلمها وقدمها، ولسانها وهاتفها، وفكسها، وسيارتها، وكل ما لها، وقفاً للناس.

نعم يلزم أن لا يضر ذلك بالهدف، حيث قد تقدم أن الاشتغال بالهوامش ونسيان الهدف يوجب عدم الوصول إليه.

إن الناس لا يلتفتون إلاّ حول من يخدمهم حالاً، ويرجون منه الخدمة في المستقبل.

وإذا فرض أنه يخدمهم حالاً، لكنه إذا وصل إلى الهدف ترك خدمتهم، فليعلم أنه يسقط عن القلوب أولاً، ثم يسقط عن القدرة ثانياً.

ولا يزعم زاعم أنه بمجرد أن وصل إلى السلاح والسلطة كفاه في البقاء، إن الناس إذا لم يريدوا تاجراً أو عالماً أو إماماً أو خطيباً أو ما أشبه انفضّوا من حوله بما يوجب سقوطه الاجتماعي، أما إذا لم يريدوا من بيده السلطة والسلاح اجتمعوا لإسقاطه، ولو بالسلاح، ولذا نشاهد في التاريخ الغابر والحاضر الحكومات التي سقطت وتسقط إحداها تلو الأخرى.

◄يفطر الناس على اللحم والثريد ويأكل من الجشب من الطعام). مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ج٢ ص٧٢ ح٥٥٦، وعن الأعمش قال: (كان علي عليه السلام يغدي الناس ويعشيهم ويأكل هو شيء يأتونه من قبل أرض له بالمدينة).مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ج٢ ص٧٩ ح٥٦٥، وغيرها من الشواهد على ذلك.

١٣
الأهم والمهم

يلزم على الحركة الإنقاذية أن تأخذ بيدها ميزان الأهم والمهم، فإن في كل خطوة أهم ومهم، من الأخذ والعطاء، والقضاء والاقتضاء، والصداقة والترك، والعلم والعمل، وألف شيء وشيء..

حتى في حال الوصول إلى أعلى القمم، فهل تُقدّم التجارة الخارجية أو الداخلية؟ الصناعة أو الزراعة؟ الصنائع الثقيلة أو الخفيفة؟

وهل تجعل في المركز الكذائي زيداً أو عمراً؟

وهكذا وهلمّ جرّا.

ومعرفة الأهم والمهم، بحاجة إلى كثرة العلم وطول التجربة، والمشاورة المستمرة والفكر الدائم.

وإذا مشى الإنسان في أمر إلى مسافة من الطريق ثم تبيّن له خطأه، أو تبين أنّ غيره أهم فاللازم أن يرجع، فإن الاعتراف بالخطأ فضيلة، وعدم الإصرار على المهم حين ترك الأهم حصانة وحكمة، وكلا الأمرين ثابت بدليل العقل.

إن (قاعدة الأهم والمهم) من أهم القواعد العقلائية والتي قرّرها الشرع، بما هو سيّد العقلاء، ففي القرآن الحكيم: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ**

﴿لاَيَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١].

إن سقي العطشان من أفضل الأمور، حتى ورد في رواية: أن له سبعين ألف حسنة[٢]، وإذا كان حاجّاً، فكم له من الفضل؟ لا يعلم ذلك إلاّ الله وحده.

وعمارة المسجد له من الفضل ما لا يُحصى، وقد ورد في حديث: أن من بنى شبراً من مسجد يُعطى في الآخرة مدينة مسافتها أربعون ألف فرسخ أو أكثر[٣]، فإذا كان عمارة للمسجد الحرام، فكم له من الفضل؟ لا يعلم عدده إلاّ الله سبحانه..

ومع ذلك إن الظالم هو الذي يساوي بينهما وبين الإيمان والجهاد!!

صحيح أن أفضل مصداق لذلك[٤]؛ هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وعلي أمير المؤمنين عليه السلام، إلاّ أن الآية يستفاد منها أيضاً قاعدة الأهم والمهم، ككثير من آيات القرآن الحكيم الواردة بصيغة عامة[٥].

---

(١) سورة التوبة: ١٩

(٢) روى الكليني في الكافي وعنه الحر العاملي في وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٢٥٣ ب١١ من أبواب الأشربة المباحة ح٢، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سقى مؤمناً شربة من ماء من حيث يقدر على الماء أعطاه الله بكل شربة سبعين ألف حسنة، وإن سقاه من حيث لا يقدر على الماء فكأنما أعتق عشر رقاب من ولد اسماعيل عليه السلام».

(٣) روى الصدوق رحمه الله في كتابه ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص٢٩٠ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «.. ومن بنى مسجداً في الدنيا بنى الله له بكل شبر منه أو قال: بكل ذراع منه مسيرة أربعين ألف عام مدينة من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد، وفي كل مدينة..» الحديث.

(٤) أي للإيمان بالله والجهاد في سبيله.

(٥) عن عبد الرحيم القصير عن أبي جعفر عليه السلام: «إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت◄

والسبب واضح، فالإيمان والجهاد غرض الخلقة، الإيمان للذات والجهاد للإنقاذ، وما بعدهما ـ وإن كان من أفضل الأمور ـ فهو من الحواشي، حالهما حال الفكر والعمل، وحال الرأس والبدن.

وعلى أيّ حال، فالسيرة العطرة تزخر بقضايا الأهم والمهم، كما ذكرنا بعض ذلك في كتاب (القواعد الفقهية) [1].

◄فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا ماتت الآية، لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين». وقال عبد الرحيم: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن القرآن حي لم يمت، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما يجري الشمس والقمر». انظر (بحار الأنوار): ج٣٥ ص٤٠٣-٤٠٤ ب٢٠ ح٢١.

(١) من ضمن موسوعة الفقه، للإمام المؤلف قدس سره في ٢٣٢ صفحة ٢٤ × ١٧، تاريخ التأليف: ١٥ صفر إلى ٥ ربيع الأول ١٤١٣هـ قم المقدسة. ط معهد التعاليم الإسلامية والمركز الثقافي الحسيني، طهران ١٤١٤هـ.

١٤
الوسائل الحديثة

الاستفادة من الوسائل الحديثة، والوسائل الإلكترونية والإعلاميّة، والكمبيوتريّة والفكس وما أشبه، من أهم مقومات الحركة العالميّة، فاللازم الاستفادة منها بأقصى قدر الاستفادة، فإن المال موجود عند الكرماء الباذلين، والوسائل متوفّرة، والناس يتقبلون، فلماذا التلكؤ؟!

منتهى المطلب أن الأمر بحاجة إلى التعقل والرابط والمدبّر، والمفروض أنها موجودة عند التنظيم الحركي.

إنّ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لا يخلقون أمثال أبي ذر رحمه الله وسلمان رحمه الله ـ إلاّ بمعنى الوساطة الإلهية الكونية، كما ذكرناه في الفقه من باب الولاية التكوينية[١] ـ وإنما يديرون عجلة الحياة من الفساد إلى الصحة، ويهدون إلى الصراط المستقيم، فعمّار[٢] الراعي الجاهلي يصبح بفضل تعاليم السماء وتحت لواء النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام: شمساً مشرقة تتلألأ

---

(١) انظر (الفقه: البيع): ج٤ ص٢٤٧ وما بعدها باب (الولاية التكوينية).

(٢) عمار بن ياسر: حليف بني مخزوم ينسب إلى عنس بن مالك وهو مذحج بن أدد أبو اليقظان، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ومن أصفيائه، روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «الجنة تشتاق إليك وإلى عمار وسلمان وأبي ذر والمقداد»، كان عمار من الذين لم يغيّروا ولم يبدّلوا بعد نبيهم صلى الله عليه وآله وممن أنكر على ابن أبي قحافة جلوسه في الخلافة، وقد ترحّم على عمار الإمام الباقر عليه السلام ثلاث مرات، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ومن بيت قام المشركون من قريش بأشد التعذيب له، وفضائله كثيرة وقد ختمها بالشهادة مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين.

قروناً وقروناً، ويكون مثالاً للأسوة والفضيلة والتقوى والإنسان الكامل.

مثلاً: إذا هُيّأت مائة إذاعة ومائة تلفزيون للإيقاظ [١]، وأرسلت الأخبار الحركيّة الإنقاذيّة إلى مائة ألف إنسان عبر الفكس وما أشبه، في كل أسبوع، فكم لهذا الأمر من فائدة؟ ولعلّ فائدتها تكون أكثر من ألف كتاب يُقرأ، ومن ألف خطيب يلقي المحاضرات التوعويّة في مجالس محدودة، بينما ما ذكرناه لا يحتاج إلى أكثر من مائة مليون دولار، وهذا المقدار يمكن إعطاؤه من قبل عشرة من التجار الأخيار، خصوصاً إذا وضع رأس المال في الاستثمار المضاربي، حيث تدير الحركة نفسها بنفسها، وفي الحديث: «تسعة أعشار الرزق في التجارة»[٢]، وقد رأيت في تقريرين أن الكنيسة جمعت في هذا العام من بعض تجار أمريكا (١٤٠) مليار دولار لأجل مشاريع الكنيسة.

ليس القصد مما ذكر أن المبلغ المذكور ـ مائة مليون ـ كافٍ في السير الموصل إلى الهدف من الإنقاذين، إنقاذ المسلمين، وغير المسلمين، بل القصد أن ذلك كافٍ في الابتداء.

ثم من الواضح أن الوسائل العالميّة الإعلاميّة والإيصاليّة، تأخذ بمحاربة هذه الوسائل الإنقاذيّة، بما يوسعها إلى أبعد حدّ، لكن من الضروري أن يتصف القائمون الحركيون بأكبر قدر من اللاعنف والأخلاق

---

(١) كان الإمام المؤلف قدس سره من أوائل المشجعين على تأسيس القنوات الفضائية الداعية لمذهب أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم ونشر الحق في العالم كله، وقد تحقق ذلك بسبب تشجيعه وتأكيده المستمر، وبرعاية المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) وجهود المؤمنين الخيّرين فقد تأسست عدد من القنوات المحلية والفضائية في دول العالم الإسلامي وغيره فضلاً عن الإذاعات والجرائد والمجلات والمواقع الالكترونية، وكانت هي الدافع لتأسيس المؤسسات الإعلامية المختلفة.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص١٠ ب١ من أبواب الدين والقرض ح٣.

والإخلاص والعفو والصفح وخفّة المؤونة، فقد قال علي عليه السلام: «تخففوا تلحقوا»[١]. إذ لو أريد السير العادي ـ بله الترف والسرف ـ لا يتمكنون من سير أنفسهم، فكيف بتسيير غيرهم، فإن المثقل بالأغلال لا يتمكن من سير نفسه، فكيف بتسيير غيره؟ إن السير في المسافات الضيّقة، والتحرك في المساحات المحدودة ـ كما صارت عادة بعض العاملين ـ غير موصل إلى النتيجة المطلوبة، وإنما مثلهم مثل تلك السمكة التي تعيش في بئر، فقالت لها السمكة الضيف: إنّ الله سبحانه خلق بحاراً واسعة ومياهاً عذبة، فلم تصدّق المضيفة، حتى أخذتها السمكة الضيف إلى الأنهار والبحار.

وقد قال علي عليه السلام: «المرء يطير بهمّته كما يطير الطائر بجناحيه»[٢].

ولا يخفى أن الظروف العالمية الحاضرة، من أفضل الظروف للتحرك، بما لم يسمع العالم بمثله منذ قرون وقرون ـ حسب ما رأيناه في التاريخ ـ، حيث الحريّات الواسعة، وزوال معظم التعصبّات الجاهليّة، وسهولة وسائل النشر والإيصال، فلم يبقَ إلاّ عزم العاملين وتحركهم إلى الهدفين. وإنّي لاأقول: إن الطريق مبلّط، والنصر موضوع في طبق من ذهب، وإنما أقول: إنّ الأمر صار أسهل وأسهل، والتحرّك أيسر وأيسر، والاستبداد أقل وأقل، ولكن لماذا ـ مع كل ذلك ـ تقدّم غيرنا وبقينا في ذيل القافلة؟

لأنهم عملوا ولم نعمل، فانطبق عليهم وعلينا كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «الله الله في القرآن فلا يسبقكم بالعمل به غيركم»[٣]، فإنهم أخذوا

---

(١) روضة الواعظين: ص٤٩٠ مجلس في ذكر الموت والروح.

(٢) انظر (مناقب آل أبي طالب): ج١ ص١٥٣ فصل في معراجه صلى الله عليه وآله وفيه: (فلذلك يقال: المرء يطير بهمته).

(٣) كشف الغمة: ج٢ ص٥٩ في شهادة أمير المؤمنين عليه السلام.

الشورى، والحرية، ووحدة الأمّة، والأخوّة، والنظام، والنظافة ـ ولو في نطاق الضيّق ـ فسبقونا، وتركناها ـ حتى بقدر نطاقهم ـ وإن كان نطاقنا أوسع وأوسع لو تحركنا، فتأخرنا، والله سبحانه دائماً يمدّ العاملين، وقد قال عزّمن قائل: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ﴾[١].

ولا يتوهم أنّ الأمر يتحقق خلال يوم أو يومين، بل إنه ممكن بالقدر الذي ذكرناه من العمل والاستفادة من الوسائل الحديثة للنهوض.

فإن الألف فرسخ يبدأ من شبر، والبحر يتكوّن من قطرة، والبرّ من ذرّة، وقد كان أحد زعماء حزب المؤتمر[٢] يقول: إذا وعدني شخص باستعداده للسجن معي حرّرت الهند. وقبل ذلك قال القرآن الحكيم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[٣].

وقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «تخلّقوا بأخلاق الله»[٤].

ولا يبعد أن يشمل كلامه صلى الله عليه وآله وسلم التكوين أيضاً، فإن الله سبحانه يبدأ الأجسام العظام والمخلوقات الكبيرة بخليّة واحدة، بل بأصغر وأصغر من الخليّة أيضاً، فإنها مركّبة من ألوف الأجزاء، وهو الموفق والمستعان.

---

(١) سورة الإسراء: ٢٠.

(٢) حزب المؤتمر الوطني: تأسس عام ١٨٥٠م لأجل استقلال الهند ونيل الحكم الذاتي، وقد حقق ذلك عام ١٩٤٧م بإعلان استقلال الهند عن الامبراطورية البريطانية، وقد انشق عن هذا الحزب الرابطة الإسلامية سنة ١٩٠٦م والتي بدورها بدأت بالمطالبة للاستقلال التام للمسلمين منذ سنة ١٩٣٧م إلى أن تحقق ذلك بإعلان قيام دولة باكستان عام ١٩٤٧م، وكان من أبرز قيادي حزب المؤتمر: المهاتما غاندي ومحمد علي جناح وجواهر لال نهرو وأبو الكلام آزاد وغيرهم.

(٣) سورة الزلزلة: ٧.

(٤) شرح الأسماء الحسنى، للملا هادي السبزواري: ج٢ ص٤١.

١٥
شعار الحركة

يلزم أن يكون شعار المتحركين للإنقاذ: ﴿**عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَف**﴾[١] و﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ**﴾[٢] والعيش مع الجميع بسلام، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما غلب وانتصر لم يعاقب المجرمين ـ حتى مجرمي الحرب ومدبّريها ـ وعايش بحسن الخلق المنافقين الذين ذمّهم القرآن الحكيم بقوله تعالى: ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[٣] الذين نووا به كل شرّ، حيث على حساب الروم وبنوا ﴿**مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾[٤]، إلى مئات القصص.

وعلي أمير المؤمنين عليه السلام فعل نفس فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مدّة خلافته الظاهريّة من العفو والسماحة، وعايش الخوارج الذين كانوا كالمنافقين، وأحياناً أشدّ منهم، بكل أخلاق وعفو وسماح.

إن ما يزعمه بعض الناس من أن الإسلام إذا قام قطع الأيدي وسمل الأعين وصَلَم الآذان وجذع الأنوف ورجم جماعة وقتل أخرى، تفكير خطأ جدّاً. فهل فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأعمال لما قام؟

وهل فعل أمير المؤمنين علي عليه السلام هذه الأعمال لما قام؟

---

(١) سورة المائدة: ٩٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة المنافقون: ٤.

(٤) سورة التوبة: ١٠٧.

إن الإسلام دين رحمة وسلام ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، كما قاله الله تعالى في وصف نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

بل العكس، إن الإسلام إذا قام وفّر كل الحريّات ـ غير المحرّمات وهي قليلة جداً ـ وزوّج كل العزّاب والعازبات، وأعطى لكل الناس الكسب، وأغنى كل فقير، وقلّل من الأمراض والأعراض والمنازعات قلّة ملحقة بالمعدوم، وعمّم العلم والمعرفة، وأسقط الحدود المصطنعة بين البلاد، وآخى بين الكل، كما فعل ذلك كله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام، إن الإسلام دين البشريّة ودين الفطرة. وهكذا فلتكن شعار الحركة العالميّة قبل الوصول إلى الهدف، وبعد الوصول إليه.

وكذلك ـ من الاطراد في القول ـ إنه من غير الصحيح ما اشتهر بين بعض الناس، من أن الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) إذا ظهر قتل وقتل، وانتقم وانتقم، إنّه بالعكس، يسير عليه السلام بسيرة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ..

والمستفاد من الروايات، أنه (عجل الله فرجه) لا يقتل إلا من حاربه، ويكون بقدر دفعهم فحسب، وميدان الحرب بين مكة والكوفة فقط.

ويعيش الكل تحت لوائه عليه السلام بأمن وسلام، موفور الحاجات، وتشرق الأرض بنور ربها، على ما ذكرنا تفصيل ذلك في بعض الكتب[٢].

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) راجع كتاب (الإمام المهدي عليه السلام) للإمام المؤلف رحمه الله: ص٣٠ باب أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته، وفيه: (ثم إن الإمام الحجة عليه السلام يظهر على أخلاق جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته، أما ما يتصوره البعض من كثرة إراقة الدماء وما أشبه فلا دليل عليه، فعن جابر بن يزيد الجعفي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون به غيبة وحيرة...» الحديث. ◄

وعلى أي حال، من المهم جدّاً في الوصول إلى الهدف، وبعد الوصول إلى الهدف، أن تحمل الحركة (شعار العفو) و(العيش بسلام) وتعمل به، لا أن يكونوا كما قال سبحانه: ﴿**فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ**﴾[١]، بل يكونوا كما قال سبحانه: ﴿**وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[٢]، بالسلام والإعزاز والإكرام، وتوفير الخير لكل الناس.

وهذا وإن كان صعباً جدّاً على الإنسان قبل الوصول، لأنه بحاجة إلى ضبط شديد للنفس، وتملّك قوي للأعصاب، ثم الأمر أصعب وأكثر احتياجاً إلى الضبط بعد الوصول، إلاّ أنه الطريق الوحيد للوصول، والبقاء، وقد ورد: «الإبقاء على العمل أشد من العمل»[٣]..

وكلا الأمرين بحاجة إلى التخطيط الدقيق وجمع جمهرة كبيرة من المثقفين والعلماء الدينيّين والزمنيّين بمختلف أبعاد الحياة والأحياء.

◄وفي حديث آخر عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي من ولدي... أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً». وقال أبو جعفر عليه السلام: «في صاحب هذا الأمر سنة من موسى عليه السلام وسنة من عيسى عليه السلام وسنة من يوسف عليه السلام وسنة من محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. أما من محمد صلى الله عليه وآله وسلم فالقيام بسيرته وتبيين آثاره»..).

هذا وقد كتب المؤلف دام ظله حول الإمام المهدي عليه السلام عدداً من الكتب منها: (الإمام المهدي عليه السلام) و(حقائق عن الإمام المهدي عليه السلام) و(في مولد الإمام الحجة عليه السلام) و(من حياة الإمام المهدي عليه السلام).

(١) سورة البقرة: ٨٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٣) انظر (وسائل الشيعة): ج١ ص٧٥ ب١٥ من أبواب مقدمة العبادات ح٢ عن أبي جعفر عليه السلام.

١٦
التوجيه نحو الهدف

من المهم أن تعمل جماعة الحركة للتوجيه نحو الهدف، سواء توجيه الأفراد أم المؤسسات البنائية أم الإنسانيّة، فإن كثيراً من العاملين في مكتبة أو مطبعة أو متجر لا يهدفون، وإنما قولهم: هذه حياتنا الدنيا، والآخرة السعيدة لنا.

وكذلك الحسينيّات والمساجد، والمدارس والمعاهد، فهي تعمل في نطاق خاص، ولو عملوا في نطاق أوسع رأوه خارجاً عن حدودهم، وهكذا حال بعض المنظمات والتجمعات، مثلاً جمعيّة مكافحة الأميّة، تعمل في نطاق الأمية فقط، بينما قدراتهم أكبر وأوسع، بحيث لو وجّهت إلى الهدف أتت بثمار طيّبة إلى أبعد حدّ.

لا لليأس

وكثيراً ما يعرف هؤلاء أن الهدف أفضل، لكنهم يائسون من الوصول إليه أو يرونه بعيداً.

إن اللازم إخراج اليأس من النفوس بملئها بالرجاء، فـ «أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج من الله عزّوجل»[١].

و: ﴿لَعَلَّ اللهَ يُحدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾[٢].

---

(١) كمال الدين: ص٦٤٤ ب٥٥ ح٣.

(٢) سورة الطلاق: ١.

و: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾[١].

كما أن اللازم تفهّم قدر المسافة بين العمل والهدف، وأنها ليست بعيدة، فإن كل آت قريب ـ كما في الحديث الشريف ـ، بل لو فرض أن العمل ينتج بعد ألف سنة فاللازم أن لا يتركه الإنسان بل يعمله، ولو رأى الجيل الخمسون النتيجة، فإن كل مائة سنة تشاهد خمسة أجيال ـ أي خمسة أعمار ـ. ولعلّه من ذلك ضرب الله سبحانه مَثَل النبي نوح عليه السلام حيث لبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً[٢]، ولعلّه منه ذكره سبحانه ﴿مَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[٣]، حيث قال بعض المفسرين: إنهم كانوا سبعة فقط، وفي رواية ثمانية[٤]، والمكثر قال: إنهم ثمانون، فلعلّ ذكر ذلك إنّما كان لأجل بيان هاتين الحقيقتين، وأنه يلزم العمل وإن كان الهدف بهذا البُعد من الأعوام، وإن كانت النتيجة بهذه الضآلة من الأفراد، وفي المثل: (إذا لم يكن لي فيه ماء، أليس يكون لك فيه خبز)[٥].

وهنا نقول: إذا لم يكن للناس النتيجة، أليس يكون للعامل الجنّة؟

---

(١) سورة الشرح: ٦.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾. سورة العنكبوت: ١٤.

(٣) سورة هود: ٤٠.

(٤) روي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجل: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاّ قَلِيلٌ﴾ قال عليه السلام: «كانوا ثمانية». معاني الأخبار: ص١٥١ باب معنى القليل ح١، وهو قول ابن جريج وقتادة ومحمد بن كعب القرظي والحكم من العامة وقال الأعمش: كانوا سبعة، وقال ابن إسحاق: عشرة أنفس، وقال: مقاتل: كانوا اثنين وسبعين رجلاً وامراة، وقال ابن عباس: كانوا ثمانين. انظر (التبيان) للشيخ الطوسي: ج٥ ص٤٨٦ سورة هود، و(تفسير مجمع البيان) للشيخ الطبرسي: ج٥ ص٢٧٩، و(جامع البيان) لابن جرير: ج١٢ ص٥٦-٥٧.

(٥) مثل فارسي.

من هنا يلزم توجيه الجميع نحو الهدف، وتحويل الموجود إلى طريق الهدف، وهذا له ثمار طيّبة، مثلاً: إذا كانت هناك حسينيّة لها هيئة تقيم الأفراح والأحزان، وما إلى ذلك، فمن الممكن أن يضاف إليها برامج الإنقاذ أيضاً، فتجعل الجماعة العاملة بعض أفرادها في الحسينية، أو يُجعل الخادم ممن يعمل هادفاً عوض من يكون غير هادف، وأن يجعل فيها صندوق للحركة أو موضع نشر لكتبها أو محلّ تجمعاتها، أو جعل مطبعة لها في سردابها [١] أو ما أشبه ذلك.

لكن اللازم أن لا تصور الهيئة أنها استغلت المكان، أو تُشعر بالضغط على الناس، فإن الناس أكثر شيء فراراً من استغلال الآخرين لهم، ومن أن يُضغط عليهم، ويلزم أن لا يتصور الآخرون أنهم صاروا تبعاً للحركة، فإن الناس غير مستعدين لأن يسود الآخرون على أكتافهم، فإن للسيادة أكبر الضرائب، إذا لم يؤدها السيّد أسقطه الناس، ولذا نرى شدّة تواضع الأنبياء والأئمة عليهم السلام والمصلحين حتى يحسّ الناس بأنهم لا يريدون التفوق عليهم، ولذا قال قوم نوح عليه السلام: ﴿مَا هَذَا إِلاّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[٢].

وقال أبو سفيان: إنّي لا أتحمّل أن يأتي فرد من قريش، يقول: إنّه يُنزل عليه الوحي[٣].

---

(١) السرداب: كلمة عراقية بمعنى القبو والطابق التحتاني.

(٢) سورة المؤمنون: ٢٤.

(٣) وفي البحار: قال أبو سفيان في فراشه مع هند: العجب يرسل يتيم أبي طالب ولا أُرسل: فقص عليه النبي صلى الله عليه وآله من غده، فهمّ أبو سفيان بعقوبة هند لافشاء سرّه، فأخبره النبي صلى الله عليه وآله بعزمه في عقوبتها، فتحيّر أبو سفيان. انظر (بحار الأنوار): ج١٨ ص١٤٠ ب١١ ح٤٠.

١٧
التلقين

إن الجماعة يجب أن يُكثروا من التلقين للنفس وللغير بأنهم طاقة هائلة، فإن الإنسان قوّة كبيرة جدّاً، وما يظهر منه للعيان ليس إلاّ فوهة بئر خرارة عميقة كثيرة الماء جدّاً، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

أتزعم أنّك جرم صغيـر وفيك انطوى العالم الأكبر

فإن كلّ مثال للعالم الأكبر من سماء وأرض وجنّة ونار وحيوان وجماد وشجر وملائكة وجنّ وحور وولدان وغيرها يوجد مثاله في هذا الإنسان الذي هو أعقد وأشرف ما في هذه الحياة الدنيا، ومن الممكن أن يكون أعقد وأشرف حتى ما في الآخرة، لأنّ الله سبحانه أمر الملائكة بالسجود له، وفي الآخرة يخدمه الولدان المخلّدون والملائكة المقربون وتكون زوجاته الحور العين.

فإذا لُقّن بذلك عرف قدر نفسه، وأخذ ينطلق بكل قدرته حتى يصل إلى الكمال الممكن له، ولذا قال عليه السلام: «رحم الله من عرف قدره»[١].

هذا من ناحية الخلقة، وأمّا من ناحية الخارج فإن الذين بلغوا الشأن الرفيع من بني الإنسان، لم يكونوا إلاّ مثل هذا الإنسان الملقَّن، وإنّما عملوا وعملوا، حتى ارتفعوا، يقول الشاعر:

لا تقولنّ مضـت أيّامـه إنّ من جدّ على الدرب وصل

---

(١) انظر الأمالي، للشيخ الصدوق: ص٥٣٢ المجلس ٦٨ ح٩. وفيه «ما هلك امرؤ عرف قدره».

إن أعضاء الجماعة بحاجة إلى تلقين أنفسهم دائماً: بإمكان وصولهم إلى الإنقاذ العالمي، وإلى تلقين الآخرين الذين يريدون حشرهم في تيار الحركة.

لقد ذكروا عن زعيم الهند أنه كاناً جباناً غايةً في الجبن حتى إنه كان إذا صعد درجاً في الليل كان يتصور أن جنيّاً يعقبه ويريد أن يأخذ برجله، ولذا كان يهرول صعوداً، وبعد ذلك أخذ كل صباح عند قيامه من النوم يكرّر هذه الكلمة: إنّي شجاع، لا عَنِف، محبّ الخير لجميع الناس، فصار من الشجاعة بحيث يخترق الغابة في الليل المظلم ولا يحس بجبن، كما أنه انطبع على اللاعنف، وتمكن حزبه من تحرير (٤٥٠) مليون عن استعمار بريطانيا الذي دام ثلاثة قرون.

ولعلّ من فوائد تكرار الصلاة والصيام والقرآن والأدعيّة، وما إلى ذلك، التلقين. وفي المثل: قطيع من الشياه يقوده الأسد يغلب على قطيع من الأسود تقودها شاة.

ثم إن التلقين واجب مضاعف في مثل زماننا، حيث إن التلقين المضاد دائم ومستمر، فالكل يقول: لانقدر، لانتمكن، اتسع الخرق على الراقع[١]، **إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع**[٢]

الأكبر منك لم يتمكن، تضرب حدّ السيف بيدك.

و﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[٣]. نعم إن الآية صحيحة مائة في

---

(١) هذا عجز بيت صدره: (كنا نرقعها إذا مزقت ❖ فاتسع الخرق على الراقع) وقيل: إن صدره: (كنا نداريها فقد مزقت) وهو لابن حمام الأزدي الجاهلي أو ابن حارثة السلمي وقيل غيرهما.

(٢) من قصيدة لعمرو بن معدي كرب وهو من فرسان العرب يمني المتوفى سنة ٢١هـ.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.

المائة، ولكن الكلام في الصغرى، فهل الهدف ليس من وسعنا؟

إلى غير ذلك من الألفاظ المثبّطة، وهذا الإيحاء موجود في الجرائد والمجلات ووسائل الإعلام السمعيّة والبصريّة، وعلى غالب الألسنة والإشارات باليد والرأس والعين وغيرها.

ثم التلقين قد يكون بالكلام المفيد للعظمة، مثل ما روي أنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكنّي الأطفال، حتى قال لطفل[١] بيده فرخ عصفور، ثم لم يره بيده: «يا أبا عمير، ما فعل النُغير؟»[٢]، وقال لولده الحسين عليه السلام: «أنت سيّد ابن سيّد أبو سادة»[٣]. ولعلّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم للإمام الحسن عليه السلام: «أعطيتك حلمي»[٤]، كان من جهة الإيحاء أيضاً، وإن كان من جهة التكوين أولاً، إذ لهم الولاية التكوينيّة، كما ذكرناه في كتاب البيع[٥] باب

---

(١) هو ابن أم سليم (أم أنس بن مالك) وكنيته أبو عمير كان له (نغرة) طير كالعصفور ذو منقار أحمر، وجمعه (النغر) ومصغره (النُغير)، وقد مات نغير أبي عمير فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضاحكه حينما رآه حزيناً لأجله.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٠٩ ب٦٦ من أبواب أحكام العشرة في السفر والحضر ح٥.

(٣) الاختصاص ص ٢٠٧-٢٠٨ في إثبات إمامة الائمة الاثني عشر (صلوات الله عليهم) وفيه: عن الصادق عليه السلام قال: «قال سلمان الفارسي رحمه الله: رأيت الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقبل عينه ويلثم شفتيه، ويقول: أنت سيد بن سيد أبو سادة، أنت حجة ابن حجة أبو حجج، أنت الإمام ابن الإمام أبو الائمة التسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم».

(٤) انظر (شرح الأخبار) للقاضي النعمان: ج٣ ص١٠٠ ح١٠٣١ وفيه: إن فاطمة عليها السلام أتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحسن والحسين عليهما السلام وهما صغيران. فقالت: «يا رسول الله هذان ابناك، فانحلهما». فقال: «نعم، أما الحسن فقد نحلته هيبتي وحلمي، وأما الحسين فقد نحلته جودي ونجدتي. أرضيت يا فاطمة؟» فقالت: «رضيت يا رسول الله».

(٥) يعتبر كتاب البيع ٥ مجلدات مع (المكاسب المحرمة والخيارات والتجارة) من أعمق ما كتبه الإمام الشيرازي قدس سره للفقهاء والمجتهدين في موسوعته الفقهية، وقد صرّح بأعلميته عدد من كبار العلماء نظراً لكتاب البيع وغيره، وقد طبع عدّة طبعات في إيران ولبنان.

الولاية[١].

وقد ورد في كتاب الجهاد، أنه لا يُعطى حصة من الغنيمة للمخذِّل[٢]، وفي الحديث: إن الله يحب الرجل الشجاع ولو بقتل حيّة[٣].

ومن الواضح أن التلقين الحسن أو السيئ يثمر حسناً أو سيئاً في كل الأبعاد، لا بُعد الإصلاح أو الإفساد فقط، بل بُعد العلم ليتعلم، أو بُعد الكسب ليكتسب، أو بُعد الألفة ليأتلف، قال سبحانه: ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾[٤]، وكذلك بُعد سائر الفضائل وبُعد أضدادها.

ومن المعلوم أنّ من يُحسن الظن بنفسه في سبيل الخير يثمر الثمار الطيّبة عادة، كما أنّ من يسيء الظن بنفسه يثمر الثمار الخبيثة، ومن المعلوم أن هذا ليس من العجب والغرور في شيء، بل الغرور في عكسه، على ما هو مذكور في علم الأخلاق.

---

(١) كتاب الفقه: البيع: ج٤ ص٢٤٨: (والمراد بالولاية التكوينية: أن زمام العالم بأيديهم حسب جعل الله سبحانه، كما أن زمام الإماتة بيد عزرائيل، فلهم التصرف فيها إيجاداً وإعداماً، لكن من الواضح أن قلوبهم أوعية مشيئة الله سبحانه، فكما أقدر الله سبحانه الإنسان على الأفعال الاختيارية أقدرهم عليهم السلام على التصرف في الكون. وما نذكره يشمل كل المعصومين عليهم السلام، فإن كل ما كان يفعله الأنبياء عليهم السلام يقدرون عليه، لأنهم أفضل منهم).

(٢) قال العلامة الحلي رحمه الله في قواعد الأحكام: ج١ ص٤٩٧: (ولا يُسهم للمخذّل ولا المرجّف ولا يُرضخ لهم)، وقال الشيخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله في كشف الغطاء ج٢ ص٤١٦: (ولا رضخ للمخذّل وهو من يخذّل المجاهدين، ويسعوا في حلّ عزمهم عن الجهاد ولا للمرجّف وهو المخيف للمسلمين حتى يمتنعوا عن الجهاد)، والسهم هو: النصيب، والرضخ هو: العطاء الذي ليس بكثير.

(٣) انظر (مستدرك الوسائل): ج٨ ص٢٩٧ ب٣٩ من أبواب أحكام الدواب في السفر وغيره ح٢، وفيه: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «إن الله يحب البصر النافذ عند مجيئ الشهوات، والعقل الكامل عند نزول الشبهات، ويحب السماحة ولو على تمرات، ويحب الشجاعة ولو على قتل حية».

(٤) سورة النساء: ٣٥.

١٨
تحمل الآلام

إن آلام التغيير كثيرة جداً، وأقلّها آلام القول المعادي وتحطيم العمل، فاللازم تحملها، وهو ما يسمى بالصبر والحلم.

فالأول: في مقابل المكروهات وما أشبه مما لا طرف إنساني له.

والثاني: فيما له طرف إنساني، وقد روي عن الرسول الأعظم ﷺ أنّه قال: «شيّبتني سورة هود»[١]. قالوا: والسرّ أنّ في هذه السورة قوله سبحانه: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ**﴾[٢]، فإن استقامة الإنسان بنفسه مشكل ولكن تقويم غيره أشكل.

وليست آلام العامل ـ خصوصاً في هذا الحقل الواسع جداً ـ قليلة أو هيّنة، بل تتراكم عليه المشاكل من الأعداء والأصدقاء، وممن يعلمون وممن لا يعلمون، بالإضافة إلى مشاق الطريق بنفسه، وأخطاء الحركة، حيث إن هناك أعداء يحاربون الإنسان، وهناك أصدقاء يخالفونه في الرأي ـ رأي المصلح ـ.

ثم إن أخطاء الحركة مؤلمة، فإن الإنسان قد يشتبه في الفعل أو الترك، وهذا يؤخذ عليه، ومن المعلوم أن أخطاء الكبار كبار، وأضرارها كثيرة، والمخطئ وإن كان مخلصاً في عمله لكنه يتحمل الآثار الوضعية، فإنه يُهاجم

---

(١) انظر (زبدة البيان في أحكام القرآن): ص١٦٧-١٦٨.

(٢) سورة هود: ١١٢.

ويتحمل إثم خطئه في نظر الاجتماع، وإن كان معذوراً عند الله سبحانه، فإن الناس لا يغفرون وإن كان الله سبحانه يغفر.

وبقدر كبر العمل، يكون كبر المشكلة.

وفي المثل: من كان سطحه أكبر كان ثلجه أكثر[١].

نعم إن الله سبحانه يساعد العاملين في سبيله، ويأخذ بأيديهم، ويسهّل لهم الطريق، ويقوّي قلبهم.

وإلى هذا أشار الشاعر[٢] بقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وللتحلّم والتصبّر ورجاء ثواب الله سبحانه وتصور أن كل حال يزول، قسط كبير في الاستقامة على السير في الطريق الشائك، قال الشاعر[٣]:

تحلّم فإن الحلم ما يدرك المُنى ولن تستطيع الحلم حتى تحلّما

وهكذا تكون الآلام من أبواب الواقع المشرعة في وجه العالمين، لكن البشارة أنه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[٤].

ولذا فاللازم على العاملين، بالإضافة إلى وضع ما ذكرناه في الحسبان، وإعداد العدّة له، أن يخططوا بحيث تقلّ الآلام ـ مهما أمكن ـ حتى تكون قابلة للتحمل، وأن يكونوا على ما وصفه الباري تعالى حيث

---

(١) مثل فارسي وأصله: (هر كه بامش بيش برفش بيش).

(٢) من قصيدة لأبي الطيب المتنبي يمدح بها سيف الدولة حين بنائه لمدينة (الحدث) المعروفة بالحمراء لحمرة تربتها وهي من عيون قصائده.

(٣) للأحنف بن قيس أو حاتم الطائي، وهناك اختلاف في صدر البيت وهو: تحلّم عن الأدنين واستبق ودهم.

(٤) سورة الشورى: ٤٣.

قال: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[١].

إن العمل سير إلى الهدف، والسير على أقسام، فقد يكون السير الخارجي إلى مدينة ما، راجلاً، أو في الليل المظلم، أو في زمان البرد، وقد يكون السير على دابة، أو سيارة، أو طائرة، وفي النهار المضيء، وفي وقت يخف البرد الشتوي. كذلك يكون طريق العمل نحو الهدف.

مثلاً: إنّ من يسبّ العامل يمكن أن يقابل بالأشد، كما قيل: (إذا ضربت فأوجع)[٢]، أو بالمثل، أو بالأخف، أو بعدم المبالاة، كما يقول الشاعر[٣]:

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني فمضيت ثمّة قلت لا يعنيني

أو بالإحسان إليه، كما ورد: (إذا أطعمت فأشبع)[٤]، حتى ينقلب العدو صديقاً، والسابُّ مادحاً[٥]، ومن في الجهة المعادية للحركة، ضمن تيّار الحركة، كما قاله الإمام السجاد عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق[٦]:

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٢) انظر (لسان العرب): ج٧ ص٢٧٧ باب (حمط).

(٣) لأحد شعراء بني سلول، والبيت الآخر:

غضبان ممتلئا على إهابه إني وحقك سخطه يرضيني.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ص١٣٤ لفظ (إذا) عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٥) قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. سورة فصلت: ٣٤.

(٦) دعاء مكارم الأخلاق: من أهم أدعية الصحيفة السجادية العالية المضامين، وقد شرحها عدة من عظماء علماء الطائفة منهم الشيخ البهائي رحمه الله في الحديقة الأخلاقية، والشيخ محمد جواد التستري رحمه الله في شرافة الأعمال، والمرجع الديني الكبير السيد صادق الشيرازي دام ظله في كتابه القيّم حلية الصالحين، وغيرهم.

«سَدِّدْني لأنْ أُعَارِضَ مَن غَشّني بِالنُّصْحِ»[١] إلى آخره..

فتحمل الآلام والتعامل بالعفو والإحسان من أهم أسباب النجاح، لكن ذلك يحتاج إلى نفس كبيرة، وشرح للصدر، وتلقين عميق، وتذكّر ثواب الله سبحانه، والتفكّر في المذكورات التي تُقصّر الطريق، وتُوصِل إلى الهدف.

فقد كان السيّد أبو الحسن الأصفهاني[٢] قدس سره يقول: من سبّني جزاؤه العطاء، فكان يكرم من سبه.

قال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٣].

فإن العفو عن الإساءة، والاستمرار في الأمر بالمعروف بالحكمة والموعظة الحسنة، والإعراض عن الجاهل، بعدم التعرّض له ـ وإن جاز التعرّض حسب قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ص ١٠٣: «اللهم صل على محمد وآله وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافيء من قطعني بالصلة وأخالف من اغتباني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضى عن السيئة».

(٢) السيد أبو الحسن بن السيد محمد بن السيد عبد الحميد الموسوي الأصفهاني (١٢٨٤ ـ ١٣٦٥هـ) مرجع الطائفة في زمانه، وُلد في بعض قرى أصفهان، وقرأ المقدمات فيها ثم هاجر إلى العراق، وكان وروده إلى النجف الأشرف في أواخر القرن الثالث عشر، وأقام في كربلاء المقدسة مدة، ولما توفي المرجع الكبير السيد محمد كاظم اليزدي عام ١٣٣٧هـ اجتمع أهل الفضل والعلماء على ترشيح السيد الأصفهاني للزعامة الدينية فتصدى للمرجعية بكل كفاءة. فُجع بقتل ولده الفاضل السيد حسن في الصحن العلوي الشريف سنة ١٣٤٩هـ وكان يصلي خلف أبيه جماعة، من أساتذته: الميرزا حبيب الله الرشتي، الشيخ ملا محمد كاظم الآخوند الخراساني، وتلامذته كثيرون، من مؤلفاته (وسيلة النجاة) وحاشية على العروة الوثقى، وله شرح على كفاية الأصول، وعدة رسائل عملية.

(٣) سورة الأعراف: ١٩٩.

اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[١] ـ من أهم مقومات الحركة الهادفة التي تريد الوصول، هذا إن كان معنى الآية في قوله﴿خُذِ﴾ ما ذكرناه[٢]، وإلاّ كانت الجملة الأولى في صدد آخر، غير ما نحن فيه[٣].

(١) سورة البقرة: ١٩٤.

(٢) نقل الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي: ج٢ ص٢٦١: وفي الجوامع: عن الصادق عليه السلام «أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها». وفي العيون: عن الرضا عليه السلام «إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله بمداراة الناس، فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾».

(٣) قال الشيخ الطبرسي في تفسيره مجمع البيان ج٤ ص٤١٤-٤١٥: (أي: خذ يا محمد ما عفا من أموال الناس، أي: ما فضل من النفقة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ الفضل من أموالهم، ليس فيها شيء موقت، ثم نزلت آية الزكاة، فصار منسوخا بها، فإن هذه السورة مكية).

١٩
إيقاف المعتدي

هناك في العالم الإسلامي خاصة، وفي العالم الثالث عامة، وفي البلاد الديموقراطيّة بصورة أعم، معتدون إما من الحكّام ـ كما في الأوّلَين ـ ومن القوانين الموضوعة بسبب مال الرأسماليّين ـ كما في الثالث ـ وبسبب المجرمين كعصابات القتلة والمافيا ومروّجي المخدرات، وما إلى ذلك.

ومن أهم ما يخدم البشريّة أن تصنع الحركة الإنقاذية جماعات لأجل صدّ هذه الاعتداءات والتقليل منها حسب الإمكان ـ إن لم يمكن الصدّ بالكامل ـ.

مثلاً: توضع جمعيّة حقوق الإنسان في مقابل الحاكم المعتدي.

أو تخطط الجمعيّة لما يوجب انفضاض الناس من حول الديكتاتور، والنظر إليه شزراً [١]، فإن ذلك من أهم أسباب التخفيف من حدّته وغلوائه، لأن الظالم مهما كان قاسياً، فإن النظر الشزر إليه والدعاية ضدّه يحدّ من ظلمه واعتدائه، حتى أن المجرم على وزان صدّام[٢] إذا لم تكن هذه

---

(١) الشزر: هو نظر الغضبان بمؤخر العين، ومنه قولهم: نظر إليه شزراً.

(٢) صدام التكريتي: الطاغوت الذي صاغه الغرب وفق متطلبات المنطقة وظروفها السياسية، وحافظ على أمنه الشخصي في أدق الظروف وأحلك اللحظات، ولد عام (١٩٣٩م) في قرية العوجة جنوب تكريت، انتمى إلى حزب البعث واشترك مع بعض عناصر الحزب في محاولة فاشلة في اغتيال عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩م) هرب إلى سوريا ومنها إلى مصر، اشترك في انقلاب (١٧ تموز ١٩٦٨م). وقام بنفسه باقصاء عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداوود اللذين كان لهما دور رئيسي في نجاح الثورة. وفي عام (١٩٧٠م) أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة◄

الأمور قباله كان جرمه أكثر، وجنايته أوسع، بل الانقلاع ممكن، ولذا قال سبحانه: ﴿وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١).

هذا بالنسبة إلى الحكام المستبدين، ومن إليهم.

أمّا بالنسبة إلى القوانين الجائرة الموضوعة بقوّة المال في البلاد الديموقراطية، فمن الممكن تغييرها أيضاً، بسبب إنهاض ذوي الهمم من عقلاء تلك البلاد، والتجمع الكافي للتغيير.

وقد تشكّلت جمعيّة في أمريكا لإصلاح ما أفسدته القنبلة الذريّة الملقاة في اليابان، لأجل تغيير قانون عدم السماح للأمريكي بتعمير البلاد التي خُربت بسبب الحكومة الأمريكيّة، حتى غيّرت الجمعيّة القانون، وذهبت نفس الجمعيّة وعمّرت الخرائب بعض الشيء.

وهذا من مصاديق التعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

◄الثورة، ورئاسة الجمهورية في حال غياب البكر عن البلاد. وفي عام (١٩٧٩م) أصبح رئيساً للجمهورية بعد أن أقصى البكر عن الحكم ومنح نفسه رتبة مهيب ركن. وقام بتصفية مجموعة من رفاقه القياديين الذين حاولوا إزاحته عن السلطة. هاجم إيران (١٩٨٠م) فاندلعت حرب الخليج الأولى واستمرت ثمان سنوات، احتل الكويت (١٩٩٠م) فاندلعت حرب الخليج الثانية، فقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بتدمير العراق ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد. انتفض الشعب، فقمع صدام انتفاضة الشعب العراقي بوحشية لا مثيل لها، فقد قدّرت أعداد من قتلوا وأعدموا واختفوا ما يزيد على (٥٠٠) ألف عراقي، وفي ٩ إبريل ٢٠٠٣م سقط النظام وهرب صدام إلى أن قُبض عليه في حفرة في الأرض يوم ٦ ديسمبر ٢٠٠٣م وبعد محاكمته تم إعدامه في يوم السبت ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦م في بغداد.

(١) سورة الأعراف: ١٦٤. الشاهد في قوله تعالى: (ولعلهم يتقون) حيث احتمال الهداية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نلقي أهل المعاصي بوجوه مكفهرة»[١].

فإنه إذا لم يكن الإيجاب أمكن السلب بهذا المعنى، ولذا قال الإمام عليه السلام: «لا تعنهم على بناء مسجد»[٢]، ولا تذهب بهم إلى الحج[٣]، ولاتلق لهم دواةً[٤].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٥٩ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح١٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص١٨٠ ب٤٢ من أبواب ما يكتسب به ح٨، وفيه: عن يونس بن يعقوب قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «لا تعنهم على بناء مسجد».

(٣) روى الشيخ الكشي في رجاله: ج٢ ص٧٤٠ ح٨٢٨ ترجمة صفوان بن مهران باسناده عن صفوان بن مهران الجمال قال: دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام فقال لي: «يا صفوان، كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا»، قلت: جعلت فداك أي شيء؟ قال عليه السلام: «إكراؤك جمالك من هذا الرجل»، ـ يعني هارون ـ قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا لصيد ولا لهو، ولكني أكريته لهذا الطريق ـ يعني طريق مكة ـ، ولا أتولاه بنفسي، ولكن انصب غلماني. فقال عليه السلام لي: «يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟» قلت: نعم جعلت فداك، قال: فقال عليه السلام لي: «أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟» قلت: نعم، قال عليه السلام: «فمن أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان وِرد النار». قال صفوان: فذهبت وبعت جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني فقال لي: يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك، قلت: نعم، قال: لِم؟ قلت: أنا شيخ كبير وأن الغلمان لا يفون بالاعمال. فقال: هيهات هيهات، إني لأعلم من أشار عليك بهذا، موسى بن جعفر، قلت: ما لي ولموسى بن جعفر؟ فقال: دع هذا عنك فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك.

(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الظلمة وأعوانهم؛ من لاق لهم دواةً، أو ربط لهم كيساً، أو مدّ لهم مدة قلم، فاحشروهم معهم». بحار الأنوار: ج٧٢ ص٣٧٢ ب٨٢ ح١٧.

وروى أبو بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن أعمالهم أي الظلمة. فقال عليه السلام لي: «يا أبا محمد لا، ولا مدة قلم؛ إن أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينه مثله»، قال ابن أبي عمير: أو قال عليه السلام: «حتى يصيبوا من دينه مثله». راجع (الكافي): ج٥ ص١٠٧ باب عمل السلطان وجوائزهم ح٥.

ومن هذا الباب الوقوف أمام القوانين الجائرة، التي تسجن وتعاقب وتأخذ الضرائب، ومن الممكن تخليص السجناء بالوساطة، أو بطلب العفو من رئاسة الدولة، أو بواسطة المال، حيث إن بعض السجناء سجنوا لأجل أنه لم يكن لهم مال يدفعونه بدلاً عن السجن، فإن من القوانين ما يخيّر الطرف بين المال والسجن، أو يعطى المال لأجل التخفيف عن السجن، أو تبديل الإعدام إلى الحبس، وما أشبه ذلك.

وكذلك إعطاء المال لأجل التخفيف عن الاضطهاد، مثلاً معيل العائلة يؤخذ قسراً للجنديّة ـ علماً بأنه لا جنديّة إجباريّة في الإسلام[١]، كما ذكرناه في بعض الكتب ـ فتعطي الجمعيّة المال لأجل عدم إقصائه إلى بلد آخر، وإنما يتدرب في نفس البلد حتى يتمكن من الأمرين: أداء الجندية والكون مع عائلته لإعاشتهم وإدارة أمورهم، أو يخفف المال من مدّة الجنديّة، أو يلغيها، إلى أشباه ذلك، فإن من الواجب تقليل المنكر كمّاً وكيفاً.

لكن لا يخفى لزوم ملاحظة قاعدة (الأهم والمهم) في هذا الباب أيضاً، فهل هذا الأمر أقرب إلى الهدف أو تركه وشأنه وصرف المال والوقت والطاقة في أمر آخر يقرّب إلى الهدف أكثر ـ كما أشرنا إليه في بند سابق ـ وربما كان من ذلك أنه لم ينقذ النبي ﷺ أبا بصير وجماعته[٢]، ولا الذي

---

(١) قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلا﴾ سورة النساء: ٨٤.

(٢) كان في المستضعفين المعذبين في مكة رجل من أبطال المسلمين يدعى أبا بصير، احتال حتى خرج من السجن ففرّ هارباً إلى رسول الله ﷺ وهو في المدينة بعد رجوعه من الحديبية، فكتبت قريش في ردّه كتاباً بعثت به رجلاً من بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق◄

استجار به في صلح الحديبيّة[١]، لأنه ﷺ رأى ـ وكان رأيه عين الصواب والحكمة ـ أن السير نحو الهدف أهم وأهم من هذين الأمرين على ما فُصّل في التواريخ.

وكما يلزم ملاحظة (الأهم والمهم) في الفعل والترك، يلزم ملاحظته في فعلين أو تركين، مثلاً ننقذ هذا أو ذاك، وإذا أجبر الظالم إنساناً بشرب الخمر أو لعب القمار، فيترك هذا أو ذاك، وهكذا الحال بين فعل حرام وترك واجب على ما ذكر في علم الأصول والفقه.

►فقدما على رسول الله ﷺ بالكتاب فإذا فيه: (قد عرفت ما شارطناك عليه من ردّ من قدم عليك من أبنائنا فابعث إلينا أبا بصير). فقال النبي صلى الله عليه وآله: «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصح الغدر منّا فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً فانطلق راشداً». قال: " يا رسول الله إنهم يفتنوني عن ديني ". قال صلى الله عليه وآله: «يا أبا بصير انطلق فإن الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً» فودّع الرجل رسول الله ﷺ وانطلق.. انظر (النص والاجتهاد): ص١٨٣-١٨٤.

(١) كان أبو جندل في سجن المشركين في مكة فاحتال حتى خرج من السجن وتنكب الطريق يرسف في قيوده، حتى هبط على النبي ﷺ وهو في الحديبية مستغيثاً به، وحيث لم يتمكن يومئذ من إغاثته اعتذر إليه وعزاه، وأمره بالصبر والاحتساب، فكان مما قاله له: «إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً». انظر (النص والاجتهاد): ص١٨٣.

٢٠
علاج النقص

اعتاد كثير من الناس أو الحركات على ذكر نقائصهم ونواقصهم بشكل سلبي، وهذا بالإضافة إلى أنه شكوى بلا فائدة، وتلقين لأنفسهم في السلبيات، كشف لعوراتهم مما يحزن الأصدقاء، ويفرح الأعداء.

فاللازم على الحركة الإنقاذيّة، أن تهتم لعلاج النقص لا أن تذكر النقص، إن الإنسان ـ غالباً ـ هو الذي يكشف عن سوءاته، مما يدل العدو على مواضع الضعف ومكامن النقص، وهل في ذلك فائدة؟!

نعم يصح ذكر بعض ذلك فيما كان سبباً لأمر أهم، ولذا ذكر القرآن الحكيم أن الكفار قالوا عن الرسول ﷺ: ساحر(١)، وكاهن(٢)، ومجنون(٣)، وكذّاب أشر(٤)، وما أشبه ذلك(٥)، ولعلّ ذلك لبيان وجوب أن يصبر العاملون ويقتدوا برسول الله ﷺ ولا يستفزّهم السباب والاتهام، فلأن الأسوة من أكبر أسباب التثبيت والتقويم والحفظ والحصانة.

كما أنه ربما يلزم أن تذكر النواقص، لكي تعالج، ولا تتكرر، فيقولها الإنسان عند الأصدقاء وإن تسرّبت إلى الأعداء حيث لا يمكن الإسرار بها، فيكون الأمر من باب الأهم والمهم.

---

(١) كقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾. سورة ص: ٤.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾. سورة الطور: ٢٩.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾. سورة الصافات: ٣٦.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾. سورة القمر: ٢٥.

(٥) كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾. سورة الطور: ٣٠، وغيرها.

إنّ قول بعض الناس عن أنفسهم: إنّه ضعيف، أو كثير النسيان، أو فقير، أو مريض، أو مبتلى بسوء أخلاق نفسه أو قرينه أو شريكه أو ما أشبه، بشكل سلبي، ولمن ليس بيده العلاج، ليس مجرد أنه لا فائدة فيه، بل إنه كاشف عن: ضعف النفس، وخطل الرأي، وخور القناة[١].

ولذا ورد استحباب الشكوى إلى الله سبحانه، أو إلى المؤمن[٢]، فالله بيده العلاج، والمؤمن يستر ولا يذيع، وربما تمكن من العلاج وإعطاء المشورة، هذا بالإضافة إلى أنه تنفيس.

وربما يكون بيان الشكوى فضحاً للظالم وأمراً بالمعروف، أو ما هو بملاكه، ولذا قال علي عليه السلام: «فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً»[٣].

---

(١) الخور: الضعف، والخطل: الاضطراب، والقناة هو الرمح.

(٢) عن الحسن بن راشد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حسن! إذا نزلت بك نازلة فلا تشكها إلى أحد من أهل الخلاف، ولكن اذكرها لبعض إخوانك، فإنك لن تعدم خصلة من خصال أربع: إما كفاية بمال، وإما معونة بجاه، أو دعوة تستجاب أو مشورة برأي».

وعن أبي معاوية قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من شكى إلى مؤمن فقد شكى إلى الله عزّ وجل، ومن شكى إلى مخالف فقد شكا الله عزّ وجل». انظر (وسائل الشيعة): ج٢ ص٤١٢ ب٦ من أبواب الاحتضار وما يناسبه ح٢وح٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص٤٨ فصل: في ظلامة أهل البيت عليهم السلام.

٢١
المعقّدات

إن بعض الأمور، سواء الجزئية منها أم الكليّة، لها طرق خاصة معروفة عند ذوي الخبرة، فإذا سلكها الإنسان وصل إليها، كالتجارة والزراعة والعمارة وما أشبه، وسلوك هذه الطرق المعروفة للحركة العالميّة واضحة. بخلاف بعض الأمور الأخر حيث تتعقد بما لا يعلم الطريق إليها، وفي مثل هذه الأمور تحتاج الحركة إلى محاولات علمية ودقة في السلوك حتى تصل إلى الحلّ، ولنمثّل لذلك أمثلة جزئية ليعلم منها بالقياس ما نحن بصدده من الأمور الكلية المعقّدة:

هناك إنسان فقد الصك المثبّت فيه الطلب، مما لا يجد حجة شرعيّة عند القضاء للطلب، فما هو وجه استرجاع ماله من خصمه؟

وهناك زوج سيئ الأخلاق عاص عن المعاشرة بالمعروف وعن التسريح بإحسان، فكيف يمكن خلاص الزوجة منه، بدون ضوضاء؟

وهناك بنت فاتها القطار وبقائها في البيت يسبب لها مشاكل من أمراض وأخطار، فما هي كيفيّة زواجها، ولا يأتيها الخاطب المناسب؟

وهناك مرض عاصٍ عجز الأطباء عن علاجه، فما هو الطريق إلى علاجه؟ علماً بأنه (ما من داء إلاّ وجعل الله له دواءً) [1]، لكن كيف

---

(١) قال عليه السلام: «لكل داء دواء». انظر (فقه الرضا عليه السلام): ص٣٤٤ باب الأدوية الجامعة بالقرآن، وقال عليه السلام: «ما أنزل الله من داء إلاّ أنزل له شفاء». انظر (الدعوات) لقطب الدين الراوندي: ص١٨١ ح٤٩٩.

الوصول إلى ذلك الدواء؟

وهناك نزاع بين طرفين لا يمكن حلّه بالطرق المألوفة حتى ترجع الأمور إلى نصابها، فما هو الحل؟ إلى أمثال ذلك.

وهذا الأمر يأتي في الحرب والسلم والأحزاب والحكومات الديكتاتوريّة، والشعوب المستعمَرة ـ بالفتح ـ باستعمار ماكر يملك كل مقومات السيطرة. وهناك أمم جامدة لا تستيقظ من غفلتها مما بقاؤها في الغفلة يسبب ذهاب دنياها وآخرتها.

إن الاعتماد في حلّ المشكلة، بالدعاء والتوكل فقط، خلاف ما قرّر الله سبحانه من ارتباط المسببات بأسبابها، وقد ورد: «أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب»[١].

وقصّة النبي موسى عليه السلام في عدم مراجعته الطبيب عند مرضه مشهورة[٢] ـ وهي تعليميّة أكثر من أن تكون بالبساطة المتوهّمة ـ والجامع في الحلّ لكل تلك الأمور المعضلة: الاستشارة، وتقليب وجوه الرأي، والاستمرارية في السير، وسلوك كل طريق محتمل، ثمّ الاعتماد على الله سبحانه وفق قانون: «اعقل وتوكّل»[٣].

---

(١) بصائر الدرجات: ج١ ص٢٦ ب٣ ح١وح٢. « لكل داء دواء».

(٢) قال الصادق عليه السلام: «كان فيما مضى يسمى الطبيب: المعالج، فقال موسى عليه السلام: يا رب، ممن الداء؟ فقال: مني يا موسى. قال: يا رب، فممن الدواء؟ فقال: مني. قال: فما يصنع الناس بالمعالج؟ فقال: يطيّب أنفسهم بذلك، فسمّي الطبيب لذلك». انظر (الاعتقادات في دين الإمامية) للشيخ الصدوق: ص١١٦ باب الاعتقاد في الأخبار الواردة في الطب.

(٣) غوالي اللئالي: ج١ ص٧٥ ح١٤٩، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وللشيخ محمد علي الحزين المتوفى سنة ١١٨١هـ وهو تلميذ المولى عبدالله الأفندي والمير محمد معصوم القزويني كتاب اسمه: (المفصّل في خبر: اعقل وتوكل).

٢٢
سعة الصدر

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «آلة الرئاسة سعة الصدر»(١).

فإن الحركة لابدّ لها من أن يسع صدرها لمختلف التيارات والاجتهادات والأفكار والآراء والنشاطات، وإلاّ لم تصل إلى الهدف المطلوب.

قال سبحانه: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾(٢).

إنّ البشر حتى في عهدَي النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام مع ما كانا عليهما السلام يتمتعان به من قوّة المنطق، وصحّة الحجة، لم يتوحّدوا، ونرى في زمانهما وجود المنافقين الشرسّين، حيث قال سبحانه فيهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾(٤).

وكذلك وجود الخوارج اللجوجين، حتى كانوا يسبّون الإمام عليه السلام في وجهه(٥)..

---

(١) خصائص الأئمة، للشريف الرضي: ص١١٠.

(٢) سورة هود: ١١٨ ـ ١١٩.

(٣) سورة (المنافقون): ٤.

(٤) سورة التوبة: ١١٠.

(٥) جاء في كتاب (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد: ج٢٠ ص٦٣-٦٤: (ويروى أنه عليه السلام كان جالساً في أصحابه إذ مرّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام: إن أبصار

ومع ذلك عاشر الأوّلين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاشر الآخرين أمير المؤمنين علي عليه السلام بأفضل ما يمكن من العفو والغض عن الإساءة وسعة الصدر، حتى قال عليه السلام: «لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه» يعني معاوية وأصحابه(١).

ولذا فاللازم على الحركة أن تعي هذه الحقيقة، وإلاّ بائت بالفشل، وحتى إذا فرض المقايسة بين الأمرين، فوت الهدف، أو فوت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان عدم فوت الهدف أهم، إذ عدم الهدف يحتوي على ألف منكر ومنكر، بينما النهي عن المنكر الفعلي، يكون إحرازاً لإصلاح أقل، وإتيان بواجب مهم في قبال الإتيان بالواجب الأهم، وهذا ما تقدّم الإلماع إليه من (قاعدة الأهم والمهم).

نعم إذا تمكن الإنسان من الوصول إلى الهدف والتقليل من المنكر ولو بشكل جزئي، يلزم عليه أن يقلّل منه حسب القدرة.

أمّا الطرد والإعراض وما إلى ذلك ـ كما يتصوّره البعض ـ دون الإقناع والحدّ من الغلواء، فذلك هو الفشل بعينه.

وقد اعترض بعض السادة على السيد أبي الحسن الأصفهاني رحمه الله من وجود بعض غير اللائقين حواليه؟ فقال له: إن بعض حاشية جدّك

هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله، فإنما هي امرأة كامرأته. فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً، ما أفقهه! قال: فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام: رويداً إنما هو سب بسب، أو عفو عن ذنب .. وكان قد مَرَن على سماع قول الخوارج: أنت كافر، وقد كفرت، يعنون التحكيم، فلم يحفل بتلك اللفظة ونهى أصحابه عن قتله ...).

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٨٣-٨٤ ب٢٦ من أبواب جهاد العدو وما يناسبه ح١٣.

الرسول ﷺ كان أسوء من هؤلاء، ومع ذلك لم يطردهم، فكيف أتمكن أنا من طردهم! وإنّي أقل قدرة منه ﷺ، وهؤلاء أقل سوءً من بعض أولئك الذين كانوا حوله ﷺ؟.

وليس معنى ذلك أن تبقي الحركة حولها اللصوص والقتلة، وما إلى ذلك، كما يفعله المستبدون من الحكام والانتهازيون من الحركات، بل معناه ترتيب الأمور وتنظيمها بإيجاد التيارات الإصلاحية داخل الحركة، والتوعية بما لا يبقى حولها منهم إلاّ المقدار الضروري الذي يدور الأمر بين فوت الهدف بطردهم، والوصول إلى الهدف مع وجودهم.

٢٣
الرجاء والطمأنينة

إن الإنسان له قدرة كبيرة، كما سبق الإلماع إليه، فإذا صرفه بكل حكمة وحزم لأجل الهدف، لا لأجل سيادة نفسه ـ كما أنه كثيراً ما يشتبه الأمر على العاملين حيث يعملون لأجل سيادتهم، وإن زعموا أنه للوصول إلى الهدف الواقعي ـ تمكن من الوصول إلى الهدف أو قريباً منه، مما يكمله من يأتي بعده، كما قال ذلك الريفي لكسرى:

غيري زرع فأكلت، وأنا أزرع ليأكل غيري.

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«من رام شيئاً وصل إليه أو قريباً منه».

فعلى الإنسان أن يستقيم إلى الهدف ويستمر نحوه بكل رجاء وطمأنينة، ولا ييأس، فإنه ﴿**لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾(١).

وعليه أن يصرف قدرته في الهدف كما ينبغي كَمّاً وكيفاً، فإذا حصلت جماعة منظمة بهذه الكيفيّة، لابد وأن يصلوا بإذن الله سبحانه، وقد وعدهم عزوجل بذلك وهو لا يخلف الميعاد، قال تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾(٢).

---

(١) سورة يوسف: ٨٧.

(٢) سورة محمد: ٧

لا يقال: فلماذا لم ينصر الله الإمام الحسين عليه السلام مع أنّه من أظهر مصاديق الناصرين لله سبحانه؟

لأنّه يقال: لم يرد الإمام الحسين عليه السلام أن ينتصر بالمعنى المادي المزعوم، وإنما أراد أن يُقتل حيث شاء الله له ذلك، ولذا كان عليه السلام يفرّق عن أطرافه الجيش، ويخبرهم بأنه سيُقتل ويقول: من لا يريد القتل معه فليتركه[1].

وسبب ذلك أن في قتله عليه السلام ـ لا انتصاره الظاهري ـ حياة الإسلام على طول الخط، فإنه عليه السلام بدمه المبارك فضح الطغاة وأعداء الإسلام من بني أمية، كما جمع حول نفسه العاطفة الكبيرة الدائمة، التي هو وقود الإصلاح المستمر في الأمّة، ووقود توسعة الإسلام بدخول غير المسلمين في الإسلام، كما ألمحنا إلى ذلك في بعض كتبنا المعنيّة بهذا الشأن.

---

(١) فقد خطب الإمام الحسين عليه السلام في مكة قائلاً: «الحمد لله وما شاء الله ولا قوه إلاّ بالله، خُطّ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأني وأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منى أكراشا جوفا وأجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ على رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل فإني راحل مصبحاً إن شاء الله». (مثير الأحزان): ص٣٠ المقصد الأول، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كتب الحسين بن علي من مكة إلى محمد بن علي: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد فان من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام». (كامل الزيارات): ص١٥٧ ب٢٣ ح٢٠.

٢٤
القرآن والدعاء

القرآن والذكر والدّعاء والصلاة، وطلب رضى الله سبحانه، والإخلاص له، من أهم مقوّمات هذه الحركة الإنقاذية، فاللازم على القائمين بها أن يعوّدوا أنفسهم على تلك، فإن كل الأمور بيد الله تعالى، ويعطيها لمن سلك السبيل الذي قرّر له، فإن النتائج تكون بالسلوك الظاهري والعون الواقعي، فكما أن لكل من الشجر والحجر والحيوان والإنسان ظاهر وباطن، كذلك لكلّ شيء خلقه سبحانه وقدّره ـ حسب علمنا ـ ذلك.

ثم إن رضى الله سبحانه هي الغاية القصوى، وإلاّ فالدنيا لا تسوى عنده حتى جناح بعوضة، كما في الحديث الشريف(١).

قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾(٢).

وحتى الجنة لا تعادل رضى الله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾(٣).

ولما كان هدف المسلمين ذلك ـ أي رضا الله عزّ وجل ـ تقدموا ذلك التقدم الهائل حتى صاروا آباء العلم وآباء الإنقاذ، أما حين لم يفكّروا في ذلك، وإنما صارت المادّة والدنيا الهدف ـ إلاّ لمن خرج بالدليل ـ صاروا بهذا

---

(١) الاختصاص، للشيخ المفيد: ص٢٤٣ باب حكم ومواعظ لرسول الله ﷺ والائمة عليهم السلام، ونص الحديث هكذا: قال رسول الله ﷺ: «لو عدلت الدنيا عند الله عزّ وجل جناح بعوضة لما سقي الكافر منها شربة».

(٢) سورة النحل ٩٦.

(٣) سورة التوبة: ٧٢.

التأخّر الشائن الذي لا يقبلهم العالَم حتى ذيلاً وعبداً، بل جعلهم بقرة حلوباً، ومركزاً لتجارب أسلحتهم وخبروياتهم، التي يطبقونها تارة على الفئران والقردة، وتارة على الإنسان المتوحش، ألا ترى أنهم يقتلون المسلمين في كل مكان، وأنهم يشترون منهم الأعضاء لمرضاهم، وأنهم يجربون أسلحتهم في إبادة المسلمين(١)، وأنهم إذا بعثوا إلى بلادنا يأخذ الموظف منهم حقّ التوحش.

نعم ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾(٢)، و«إذا عصاني من خلقي من يعرفني سلّطت عليه من خلقي من لا يعرفني»(٣).

ثم إن النفس البشريّة:

قتور(٤)..

هلوع.. جزوع.. منوع(٥)..

مجادل(٦)..

شهواني(٧)..

---

(١) فضلاً عما ترميه الدول الأجنبية من نفاياتها النووية في الدول الإسلامية كما فعل الاتحاد السوفيتي في دول آسيا الوسطى مثل كاخزستان وغيرها، ومعلوم أن هذه النفايات تسبب الموت فضلاً عن العاهات الجسدية والأمراض المتنوعة.

(٢) سورة الحج: ١٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٤٠٤ ح٥٨٧١.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً﴾. سورة الإسراء: ١٠٧.

(٥) كقوله: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾. سورة المعارج: ١٩-٢١.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾. سورة الكهف: ٥٤.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾. سورة آل عمران: ١٤.

محب للمال[١]..

ينسى الفضل[٢]..

لاهٍ[٣]..

مغرور[٤]..

كنود[٥].. وسواسي[٦]..

ظلوم جهول[٧].. يئوس[٨]،

مختال[٩].. فرح فخور[١٠]..

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾. سورة العاديات: ٨. (الخير) أي المال.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾. سورة البقرة: ٢٣٧.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾. سورة الأنبياء: ٣، وقوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾. سورة التكاثر: ١، وقوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. سورة الحجر: ٣، وغيرها.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾. سورة الحديد: ١٤، ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾. سورة آل عمران: ٢٤، وغيرها.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾. سورة العاديات: ٦.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾. سورة ق: ١٦.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾. سورة الأحزاب: ٧٢.

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾. سورة هود: ٩، وقوله تعالى: ﴿لا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾. سورة فصلت: ٤٩، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾. سورة الإسراء: ٨٣.

(٩) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا﴾. سورة النساء: ٣٦، وسورة لقمان: ١٨، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. سورة الحديد: ٢٣.

(١٠) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾. سورة هود: ١٠.

عجول[١]..

يفجر أمامه[٢]..

طاغ[٣]..

خصيم[٤]..

مُمِن[٥]..

متقلب في المواقف[٦]..

وبعضهم: عتلّ زنيم[٧]..

إلى غير ذلك، مما عدّدها القرآن الحكيم للإنسان، وإنه لا اعتصام له إلا بالله سبحانه.

فاللازم كثرة الذكر والقرآن والصلاة والدّعاء، حتى يسمو بنفسه عن هذه النقائص، ويتمكن من انتشال غيره في الدنيا والآخرة.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولا﴾. سورة الإسراء: ١١.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾. سورة القيامة: ٥.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾. سورة العلق: ٦.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾. سورة النحل: ٤، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾. سورة يس: ٧٧.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. سورة الحجرات: ١٧.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. سورة آل عمران: ١٤٤.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾. سورة القلم: ١٣.

٢٥
التشجيع

للتشجيع أثر غريب في تقدم الإنسان الذي شُجّع ـ إذا كان التشجيع للتقدّم ـ وكذلك عكسه، ونحن بصدد التقديم والتقدّم.

مع أن التشجيع لا مؤونة له إطلاقاً، إلاّ باللسان أو القلم، أو هو خفيف المؤونة بإعطاء جائزة رمزيّة أو نحوها، وعكسه في التأخر والتأخير، والتثبيط والخذلان.

إن هاشم المرقال[١] كان من خيرة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وحيث أصابه العور في بعض الحروب الإسلاميّة، قيل له: أعور، فرآه علي عليه السلام يتلكأ في الحرب، فقال عليه السلام له مشجعاً: يا هاشم، أما تخاف أن يقال لك: أعور وجبان، فتحمس وأخذ يهرول إلى الميدان ـ ومن ذلك سمّي بالمرقال ـ وحارب حتى قُتل، بعد أن قاتل أشدّ قتال ونال من الأعداء ما نال[٢].

---

(١) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المعروف بالمرقال، وذلك لأنه كان يرقل في الحرب، والإرقال نوع من المشي السريع، وقيل: لأن أمير المؤمنين عليه السلام عندما دفع إليه الراية في يوم صفين كان يرقل بها إرقالاً، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وآله وكان من وجوه الصحابة وخيار التابعين ومن المخلصين لأمير المؤمنين عليه السلام ومن الخمسة الذين كانوا مع أمير المؤمنين عليه السلام من قريش، كان شجاعاً مقداماً في الحروب اشترك في حرب اليرموك ذهبت عينه بها واشترك في غيرها، وكان ملازماً لأمير المؤمنين عليه السلام وجعله عليه السلام على خيل قريش وكنانة يوم الجمل وكان صاحب رايته في يوم صفين، وقيل: إنه كان على الرجالة في حرب صفين، واستشهد في آخر أيامها رضوان الله تعالى.

(٢) نقل الشيخ التستري في كتابه (قاموس الرجال) ج١٠ ص٤٨٦: (قد كان علي عليه السلام، قال له◄

والتشجيع الذي نقصده هنا، في حقلين:

الأول: في حقل الإنقاذ، إن الإحصاءات دلّت على أن مائة مليون في العالم مهجّرون ومشرّدون، وثمانين مليون منهم من المسلمين، فما ذنب هؤلاء حتى شرّدوا من بلادهم وأهلهم؟!

أما عدد السجناء فلا يعلمه إلاّ الله سبحانه، ففي العراق أكثر من نصف مليون مسجون، وفي كوبا ذات تسعة ملايين، نصف مليون سجين، وفي البلد الفلاني ذات خمسين مليوناً ثلاثمائة ألف سجين، وكثير من السجناء تحت التعذيب، وهكذا وهلمّ جرّا.

لماذا هذه السجون؟ حتى في البلاد التي تسمّى بالديمقراطيّة[1].

إن السجن في عالم اليوم أكثر من تسعين بالمائة منه باطل عقلاً وشرعاً، أما التعذيب فكلّه باطل إطلاقاً.

كما أنّ في العالم كثرة هائلة من المعوّقين يمكن علاجهم أو التخفيف عن آلامهم، في أكثر من تسعين بالمائة منهم.

وعلى هذا القياس حال الأسرى، وما أكثرهم في العالم.

►كهيئة المازح: «أبا هاشم أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جبانا! » قال: ستعلم يا أمير المؤمنين، والله لألفن بين جماجم القوم لفّ رجل ينوي الآخرة! فأخذ رمحاً فهزّه فانكسر، ثم أخذ آخر فوجده قاسياً فألقاه، ثم دعا برمح لين فشدّ به لواه. وفيه: جعل عمار يتناوله بالرمح ويقول: أقدم يا أعور " لا خير في أعور لا يأتي الفزع " فيتقدم فيركز الراية، فإذا شامت إليه الصفوف (أي صارت منظورة إليه) قال عمار: أقدم يا أعور لا خير في أعور لا يأتي الفزع؛ فجعل عمرو بن العاص يقول: إني لأرى لصاحب الراية السوداء عملا لئن دام على هذا لتفنين العرب!).

(١) جاء في تقرير منظمة هيومن رايتس عام ٢٠٠٨م أن الولايات المتحدة الأمريكية الأولى في عدد السجناء.

أليس كل أولئك بحاجة إلى الإنقاذ الممكن؟

وأليس لتشجيع أصحاب الضمائر أثر كبير في هذا الحقل؟

والجماعة الحركية بإمكانها أن تفعل الكثير في هذا المجال.

الثاني: في حقل إنقاذ العالم ـ على تفصيل ذكرناه سابقاً ـ .

فاللازم على الحركة اتخاذ التشجيع وسيلة لهذين الأمرين، وقد ذكرنا أن الأمر يسير جداً، وإنما بحاجة إلى العزم والسير فقط.

٢٦
تحويل الكذب إلى الصدق

إن الرسول الأعظم ﷺ أسّس الإسلام على الصدق والواقعيّة، ولذا تقدّم ذلك التقدّم الهائل..

ثم إنّ بني أميّة وأولاد العباس وآل عثمان، بدّلوا صدق الإسلام إلى الكذب، ولذا أخذ الإسلام والمسلمون في التأخر، حتى وصل الحضيض في زماننا، فلا يتمكن ثلاثمائة مليون مسلم من العرب، بل جميع المسلمين، من مقابلة إسرائيل ذات الأربع ملايين[١].

إن غرفة الرسول ﷺ التي مات فيها لم تتجاوز عن قدر وضع جنازته ﷺ طرف القبلة، وعشرة أفراد ملصقين وقوفاً للصلاة عليه ﷺ ـ كما تحدثنا الروايات [٢] ـ تبدّل هذا الأسلوب البسيط في زمان معاوية إلى

---

(١) يبلغ تعداد سكان العرب في الوطن العربي حسب تقديرات عام ٢٠٠٧م قرابة (٣٣٨) مليون نسمة فضلاً عن عرب الأهواز حيث يقدر عددهم بـ (٨) ملايين نسمة، فضلاً عن غيرهم من العرب المتواجدين في مختلف البلاد غير العربية.

بينما يبلغ عدد سكان فلسطين المحتلة قرابة (٧) مليون نسمة وفق تقديرات عام ٢٠٠٨م بما في ذلك حوالي (٢٠٠) ألف إسرائيلي و(٢٥٠) ألف عربي في القدس الشرقية و(٢٧٠) ألف في مستوطنات الضفة الغربية و(٢٠) ألف إسرائيلي في الجولان المحتل.

(٢) عن أبي جعفر عليه السلام - وذكر حديث تجهيز رسول الله ﷺ إلى أن قال -: «قال الناس: كيف الصلاة عليه؟ فقال علي عليه السلام: إن رسول الله ﷺ إمامنا حياً وميتاً، فدخل عليه عشرة عشرة فصلوا عليه يوم الاثنين وليلة الثلاثاء حتى الصباح ويوم الثلاثاء، حتى صلّى عليه كبيرهم وصغيرهم ذكرهم وأنثاهم وضواحي المدينة بغير إمام». راجع (وسائل الشيعة): ج٣ ص٨٣ ب٦ من أبواب صلاة الجنازة ح١٠.

قصر ضخم يساوي أربعة ملايين دينار[١]، وفي زمان هارون والمتوكل إلى قصر مساحته ثلاثة فراسخ[٢].

---

(١) إحدى قصور معاوية قصر الخضراء بناه لكي يكون داراً للأمارة وموقعه حذاء سوق الصفارين من الجنوب قبلي الجامع الأموي، وقد حرق سنة ٤٦١هـ في الحرب الدائرة بين الفاطميين والعباسيين، ولما بنى معاوية الخضراء بدمشق وهي دار الإمارة بالطوب فلما فرغ منها قدم عليها رسول ملك الروم فنظر إليها فقال له معاوية: كيف ترى هذا البنيان؟ قال: أما أعلاه فللعصافير وأما أسفله فللفأر، قال: فنقضها معاوية وبناها بالحجارة، وحين اكتمال الخضراء جاءه أبوذر وقال له: يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله؟ فهي الخيانة، وإن كانت من مالك؟ فهذا الإسراف. فسكت معاوية، ولما استخلف عبد الملك بن مروان طلب من خالد بن يزيد بن معاوية شراء الخضراء وهي دار الأمارة بدمشق فابتاعها منه باربعين ألف دينار وأربع ضياع بأربعة أجناد الشام اختارهن فاختار من: فلسطين عمواس، ومن الأردن قصر خالد، ومن دمشق أندركيسان، ومن حمص دير زكى.

(٢) بنى المتوكل لوحده العديد من القصور، منها:

١. العروس بسامراء، وقد أنفق عليها ثلاثون ألف ألف درهم أي ثلاثون مليون درهم.

٢. الجعفري، وهو قصر قرب سامراء بموضع يسمى الماحوزة وفيه قتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ وقد أنفق على بناءه ألف ألف دينار وكان المتولي لبنائه دليل بن يعقوب النصراني وكان من أكبر قصوره وبعد انتهائه انتقل المتوكل وأغلب سكان سامراء إليه حتى فرغت من أهلها.

٣. قصر الحير في سامراء، وقد أنفق على عمارته أربعة الآف الف درهم.

٤. قصر شبداز أو شبديز أو الشبنداز، أيضاً بسامراء وهو قصر عظيم، كلف بناؤه عشرة آلاف ألف درهم.

٥-٨. قصر المختار بسامراء، وقصر بركوار والخير والغرو وكلّف بناء الأربعة: ثلاثين ألف ألف درهم.

٩. قصر الهناء، وعدّ من أعظم قصور المتوكل.

١٠. قصر البرج، وقد أنفق على بنائه ألف ألف وسبعماءة ألف دينار.

١١. قصر المليح، وكلف بناؤه خمسة آلاف ألف درهم.

١٢. قصر الشاه، وكلّف عشرون مليون درهم.

١٣. قصر العروس: وكلفه عشرون مليون درهم.

١٤-٢٤. كما نسب إليه القصور التالية: البركة والقريب والربيع والصبيح والمليح والسندان والقلاية والمتوكلية والبهو والؤلؤة والهاروني، وقد ورد في بعض الأخبار أنه بنى حتى لجواريه القصور، كما أنه بنى قصراً على سفينة.

وإنّ رهن درع رسول الله ﷺ بثلاثة أصوع شعير ـ أو أكثر ـ لقوته وقوت أهله، تحوّل إلى سبعمائة مائدة لقصر عبد الحميد العثماني، وفي كل مائدة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

وأن القاضي الواحد لمدينة الكوفة ذات ستة ملايين شخص، من زمان عمر، إلى عثمان، إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، إلى معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك، وهو يفصل القضايا في المسجد في ساعات وأقل منها، تحوّل إلى عشرات الحكّام والقضاة في مدينة ذات مليون، قد تطول القضايا بسببهم إلى سنوات، كما رأيناه في زماننا.

إلى ألف تحوّل وتحوّل.

ومن المعلوم أن مثل هذا الإسلام المحوّل إليه، لا يعيش بنفسه وإنما على أكتاف الآخرين، بله أن ينقذ غيره.

إن المسلمين سيبقون في هذا التخلّف والتأخر والاضمحلال والتبعيّة ما لم يتحوّل الكذب الحادث إلى الصدق السابق..

لم يكن في زمان النبي ﷺ سجن واحد، ولا أسير مقيّد واحد، ولذا كان الأسير يتجوّل ليستطعم ـ كما في سورة:

﴿هَلْ أَتَى﴾[1].

والإمام أمير المؤمنين عليه السلام بنى سجناً واحداً فقط اضطراراً في مدينة

---

(١) فإن في قضية إطعام الأسير دلالة واضحة على حرية حركته في زمن النبي ﷺ من دون قيد فضلاً عن عدم كونه في داخل سجن، علماً بأنه قد عرّف الأسير كما في لسان العرب: ج٤ ص١٩ (أسر) وغيره بأنه: الأخيذ وأصله من ذلك، وكل محبوس في قيد أو سجن: أسير .. قال مجاهد: الأسير المسجون .. ويقال لأسير من العدو: أسير لأن آخذه يستوثق منه بالإسار، وهو القيد لئلا يفلت.

الكوفة فحسب[١]، من ملكه العريض من ليبيا إلى داغستان، ولم يكن في ملكه مشرّد واحد ـ وذلك بسبب عدله ـ وإنما هرب بعضهم إلى معاوية رغبة في الدنيا الحرام، ثم إذا رجعوا إليه لحاجة أو ما أشبه تركهم وشأنهم[٢]، فهل نحن اليوم كذلك؟

إذا أعدنا تلك السيرة العطرة، رجونا أن يعود إلينا الإسلام بعزّه وسيادته واستقلاله وسعادته.

فاللازم أن يكون في أوّل برامج الحركة ذلك، والله المستعان.

---

(١) ذكر الإمام المؤلف في كتابه (كيف ينظر الإسلام إلى السجين؟) باب السجن في عهد الإمام عليه السلام ص٣٦: (وقد نقل كتاب الغارات .. قال: ورأيت المحبس وهو (خص) وكان الناس يفرجونه ويخرجون منه، فبناه علي عليه السلام بالجص والآجر، قال فسمعته وهو يقول:

إلا تراني كيساً مكيسا بنيت بعد نافع مخيسا
باباً حصيناً وأميناً كيساً

فإن الإمام عليه السلام كان سجنه عبارة عن الجريد وما أشبه ذلك ولكن السجناء حيث كانوا يفرون من هذا السجن بإفراج القصب والجريد اضطر عليه السلام إلى أن يجدد بناءه ويجعل له باباً حصيناً، وامیناً كيساً، حتى لا يفر المعتقلون منه وينالون جزاءهم العادل).

(٢) كما في قضية عبيد الله بن الحر حينما هجر أمير المؤمنين عليه السلام وذهب إلى معاوية وبعد ذلك عاد إلى الكوفة فوجد أن امرأته زوجها أخوها من عكرمة بن الخبيص عندما طالت غيبته، فذهب إلى امير المؤمنين عليه السلام فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «ظاهرت علينا عدونا»، فقال له: أيمنعني ذلك من عدلك؟ قال: «لا»، فقص عليه قصته فردّ عليه امرأته وكانت حبلى فوضعها عند من يثق إليه حتى وضعت فألحق الولد بعكرمة ودفع المرأة إلى عبيدالله. انظر (الكامل في التاريخ): ج٤ ص٢٨٧، (الفتوح): ج٦ ص٢٧١.

٢٧
تحويل الضار نافعا

إن من سمات المتقدمين: تحويل الضار نافعاً، بينما من سمات المتخلفين أشد التخلف عكسه، وقد صار المسلمون من هذا القبيل حيث انحرفوا عن سنن الله سبحانه.

ومن تلك المنافع التي استفادوا منها ضرراً وتخلفاً، الوسائل الحديثة والأنظمة الجديدة، مثلاً استفادوا من المدارس والمسابح وما أشبه في الإفساد واختلاط الجنسين، ومن الأحزاب بأنظمتها الجديدة للعمالة وتبعية الأجنبي كحزب البعث والحزب الشيوعي وما إلى ذلك..

واستفادوا من الصناعات الحديثة في صنع آلات التعذيب، ومن البنادق وما أشبه لقتل الأبرياء وسبب الاعتداء..

ومن ثروة النفط في الفساد والإفساد وبناء السجون وتقوية الدكتاتورية وتوسيع شبكة الاستخبارات الكابتة للأنفاس، ومن المواصلات نقل المخدرات، وهكذا وهلمّ جرّاً، وقد قال سبحانه: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ**﴾[1].

نعم يبدلون نعمة الله كالعنب الطيب خمراً الذي هو سبب المعصية والفساد، وهو كفر عملي، وقد يصرفون اللسان وهو نعمة إلهية، في إجراء لفظ الكفر العقيدي، وهكذا.

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٨-٢٩.

فعلى الحركة العالمية الإصلاحية أن تهتم لإرجاع هذه الوسائل إلى فوائدها المقررة لها المشروعة، حتى ترجع صالحة ومفيدة عوض أن تكون ضارة ومفسدة.

إن الغرب استفاد من الوسائل الحديثة فأحكم بها سيادته واستقلاله وسيطرته، وصرفها ـ في كثير من الأحيان ـ في التقديم العلمي والعملي، لكن المسلمين استفادوا منها في تحكيم العمالة والتبعية والتأخر، فصارت النعمة نقمة عليهم، كالمصباح ليلاً فإنه إذا كان بيد أمين استعمله في الأمانة وتقفيل الأبواب والحفاظ على الأموال، وإذا كان بيد خائن استعمله في السرقة والفساد.

٢٨
التغيير العام

بعد الوعي العام الذي يعمّ من يُراد تغييرهم من المسلمين ومن غيرهم، وبعد تشكيل المؤتمرات الدورية التي توجب توحيد الاتجاهات والتعاون في القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، يأتي دور التغيير العام للإنقاذ، بالوحدة والحرية والشورى والأخوة وما إلى ذلك في بلاد الإسلام، وبتغيير المفاسد إلى المصالح عقيدةً أو عملاً، في بلاد غير الإسلام.

والتغيير يكون بالإضرابات والمظاهرات السلمية، وهي ميسورة وممكنة وعملية في بلاد الأحزاب الحرة أو شبه الحرة، مما لاتحكم فيها قبضة الديكتاتور، ولا تفتح سجونه للاعتقال، ولا أجهزته للقمع، أمثال باكستان الحالية في الجملة، وجملة من البلاد الغربية.

أما القسم الثالث من البلاد كالعراق وما إلى ذلك، فاللازم:

أولاً: أن تجعل في آخر القائمة، حيث ترخو قبضة الديكتاتور، ولايتمكن من شدة القبض والبسط، حتى لا تكون خسارة فادحة، الحركة في غنى عنها.

وثانياً: أن تهيئ أجهزة الدفاع كاملة، من الإعلام والضغوط وما إلى ذلك، كما رأيناه في أواخر أيام الشاه حيث ارتخت قبضته، فأخذت البلاد

تقوم بالإضرابات والمظاهرات والاعتصامات التي أدّت إلى سقوطه.

وبذلك يكون الوصول إلى الهدف بأقل قليل من المشاكل والمآسي التي هي سلاح الدكتاتور في إبقائه بالشبكة المفسدة في الحكم.

ومن الممكن من الآن الشروع في أمثال هذه الأمور، في البلاد الحرة أو شبه الحرة مع نشر ذلك بسبب الإعلام، سواء بالنسبة إلى التغيير إلى الصالح في نفس تلك البلاد، أم بالنسبة إلى التغيير في البلاد الديكتاتورية، مع العلم أن أكثر بلاد الإسلام في الحال الحاضر تعيش الكبت والإرهاب والديكتاتورية.

٢٩
الاستياء ضد الدكتاتورية

يلزم أن تتدرب الحركة العالمية على إثارة أمواج من الاستياء في قبال الديكتاتورية، في كل عمل يعمله، وإن عُدّ عند العرف حسناً، سواء في الديكتاتورية الابتدائية أم في الديكتاتورية الاستمرارية، وذلك لإسقاط الديكتاتور ومشاريعه بكل صورة وعلى أي حال.

أما في عمله السيئ عند الجميع فلأنه سيئ.

وأما في عمله المعد عند بعض حسناً، فلأنه ليس بحسن في الواقع وإن لبس لباس الحسن، ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا تعنهم على بناء مسجد»[١]، ونهى الإمام الكاظم عليه السلام صفوان الجمّال عن كراء جماله لهارون العباسي[٢]..

إن بناء المسجد لهارون أو تهيئة وسائل حجه، معناه تحبيبه إلى الناس، حتى إذا فرض أن المسجد يُصلي فيه مجتهد عادل لا يرتبط بالحاكم إطلاقاً، أما إذا كان حجه مكراً لإلقاء القبض على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وبناؤه المسجد لمدحه من على منبره في المواعظ.. فالأمر لا يحتاج إلى تحليل في أنه كيف يكون إساءة؟

إن هارون الممدوح والذي في نظر العوام يحجّ ويبني مسجداً هو الذي

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٣٨ باب المكاسب ح٦٢.

(٢) مرّ ذكر هذه القضية في المبحث (١٩) إيقاف المعتدي فراجع.

يتمكن من الاستيلاء على العوام السطحيين الذين يؤيدون ملكه وأموره، ويغضّون النظر عن جرائمه وهو بقاؤه، مما يشجعه على أن يسير في الغيّ أكثر فأكثر.

لنفرض أن انقلاباً وقع في العراق ضد صدّام، والكل صفقّوا له لأنه نجّاهم من كابوس طاغٍ، لكن السؤال هنا يتوجه نحو الضباط الذين قتلوه وأراحوا البلاد والعباد من شرّه، فهم كيف يكونون؟

هل ديكتاتوريون ولو بدرجة أقل؟

أو استشاريون؟

فإذا سلّموا الحكم إلى الشورى حقيقة استحقوا المدح، وإلاّ كانوا كبني أمية وبني العباس، وربما نقول[١]:

يا ليت جور بني مروان عاد لنا ولیت عدل بني العباس لم يكن

ولذا فالديكتاتورية الاستمرارية، حالها حال الديكتاتورية الابتدائية في لزوم إثارة موج من الاستياء والنقد والتنفير عنها، حتى يرجع الحق إلى نصابه، وتسود أحكام الله سبحانه المحرِّرة والمتقدمة، في البلاد.

---

(١) أصل هذا البيت لأبي عطاء أفلح بن يسار الندي المتوفى سنة١٨٠هـ وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. والبيت هكذا:

يا ليت جور بني مروان عاد لنا ولیت عدل بني العباس في النار

٣٠
عمق النظر

تلزم على الحركة الإصلاحية العالمية، أن تكون عميقة النظر، تلاحظ ليس ظاهر المفاسد فحسب بل من ورائها وما وراءها، وإلاّ لم تتمكن من الإصلاح.

مثلاً قاسم العراق[١] كان ظاهره أنه جاء باسم إنقاذ الشعب من الملكيين الفاسدين، ولكن كانت وراءه بريطانيا سيدة الملكيين؟ ولذا صار الفساد والإفساد أكثر.

فإذا عرفت الحركة ذلك، فاللازم أن تعالج جذور المشكلة، وإلاّ فما دامت الجذور موجودة، لا يفيد التغيير، بل ربما يضر أكثر فأكثر، كما رأينا في غالب الحركات الانقلابية، حتى ما ظهرت منها ـ أول ما ظهرت ـ جماهيرية، ثم تحولت إلى أسوأ من السابق في الديكتاتورية.

---

(١) عبد الكريم قاسم محمد بكر الزبيدي، ولد في بغداد عام (١٩١٤م). التحق بالكلية العسكرية في (١٩٣٢م) وتدرَّج في الرتب العسكرية، انتمى لتنظيم الضباط الأحرار عام (١٩٥٦م). قام بانقلاب عسكري عام ١٣٧٧هـ (الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨م) وأطاح بالحكم الملكي، بعد أن قتل أغلب أفراد العائلة الملكية بما فيهم الملك فيصل الثاني، وأعلن الحكم الجمهوري وشكل مجلس السيادة وترأس مجلس الوزراء إضافة إلى وزارة الدفاع بالوكالة لثلاث دورات، ألغى المظاهر الديمقراطية كالبرلمان والتعددية الحزبية ما عدا الحزب الشيوعي الذي أضحى الحزب المحبب للسلطة، وألغى الحكم المدني وأضحت البلاد خالية من الدستور تعرض خلال حكمه إلى عدة محاولات انقلابية، تعرض لانقلاب عسكري دبّره عبد السلام عارف مع مجموعة من الضبّاط البعثيين أمثال أحمد حسن البكر وصالح مهدي عمّاش وغيرهم عام (١٩٦٣م)، أُعدم رمياً بالرصاص مع بعض رفاقه في دار الإذاعة.

هذا بالنسبة إلى من وراءها، أما بالنسبة إلى ما ورائها، مثلاً نرى فساد البنين والبنات، فكيف تعالج الحركة الإصلاحية ذلك؟

هل بتزويج العزّاب والعازبات؟

إن ذلك صحيح مائة في المائة، لكن هل يكتفى بذلك؟

إن في الحوض المتعفن، لا يكفي الإنسان أن يقتل بَعُوضَهُ واحدة واحدة، فإن وساخة الماء ما دامت موجودة تتولّد البعوض، فاللازم تغيير ماء الحوض، نعم اللازم الأهم، وهو تغيير جذور العزوبة، بإحياء قانون: (الأرض لله ولمن عمرها)[١]، وقانون: (من سبق)[٢]، وقانون: (حرية الحركة والعمل والبناء)[٣]، وقانون: (أفضل نساء أمتي أقلهن مهراً)[٤].

كما يلزم إماتة قانون العسكرية الإجبارية، وقانون كون الدراسة الأكاديمية مانعة من الزواج، وهكذا، وبذلك يفرغ الحوض ـ في المثال ـ عن الماء العفن، فيتزوج الكل وبكل سهولة، ـ كما رأيته في العراق قبل الحرب العالمية الثانية ـ ولا ينتشر الفساد، ولا تفتح مواخير[٥]، ولا يكون للشذوذ الجنسي عين، ولا للأمراض الناشئة من الانحراف الجنسي أثر.

---

(١) الكافي: ج٥ ص٢٧٩ باب في إحياء أرض الموات ح٢.

(٢) انظر (غوالي اللئالي): ج٣ ص٤٨٠ باب إحياء الموات ح٤، ونص الحديث: «من سبق إلى ما لا يسبقه إليه مسلم فهو أحق به».

(٣) تستفاد هذه الحريات من الرواية المشهورة: (الناس مسلطون على أموالهم) انظر (غوالي اللئالي): ج١ ص٢٢٢ الفصل٩ في ذكر أحاديث تتضمن شيئاً من أبواب الفقه ح٩٩، ومن القاعدة العامة المشهورة: (الناس مسلطون على أنفسهم)، وغيرها من الأدلة.

(٤) راجع (مستدرك الوسائل): ج١٤ ص١٦٠ ب٥ من أبواب مقدمات النكاح ح٤.

(٥) المواخير: جمع الماخور وهو مجلس الفسّاق.

٣١
بعد المدى

يلزم على الحركة الإصلاحية العالمية، أن تكون بعيدة المدى، تجعل خططها ناجحة ولو بعد زمان، وتنظر إلى الأمور التي يبقى آثارها آماداً بعيدة.

وهذا غير ممكن إلاّ بعد طول فكر ومشورة، وتقليب وجوه الآراء، وملاحظة الأهم والمهم، ودقة الأمر من كل جوانبه، وقد ذمّ الله سبحانه بعض الناس الذين ينظرون أمامهم فقط، قائلاً عز من قائل: ﴿**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمِونَ**﴾ (١).

إن الخطط الارتجالية، وملاحظة النفع العاجل، وتصور أنه لابد من الحركة للحركة، لا للهدف، والاقتناع بالتصفيق والتهريج والمدح والثناء وعدم الإتقان في الأمور، لها عواقب سيئة، وإن اعتادها حكّام المسلمين مع الأسف، وسبّب ذلك تقدم غير المسلمين عليهم، مما أفقد المسلمين عزتهم وشوكتهم واستقلالهم، ودينهم ودنياهم.

ولذا وصف ضرار(٢) ـ وهو من تلاميذ علي أمير المؤمنين عليه السلام الإمام

---

(١) سورة النمل: ٦٦.

(٢) ضرار بن ضمرة، واختلفوا في لقبه، فقيل: الكناني أو النهشلي أو الصدائي أو الضبابي أو الليثي وغير ذلك، كان من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الفصحاء الخطباء، وكان من أصحاب ألوية جيش أمير المؤمنين عليه السلام بصفين.

بأنه: (كان والله بعيد المدى)[١].

وقال قبل ذلك القرآن الحكيم: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[٢].

إن بادئ الرأي على الأغلب، وضيّق الصدر، والمهرول وراء التهريج والاستحسان، يسعى دائماً إلى الوقتيات والانتصارات السريعة، بينما يكون في ذلك سقوط السمعة، وسحب الناس ثقتهم عنه، قال الشاعر[٣]:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

---

(١) انظر (كنز الفوائد) للكراجكي: ص٢٧٠-٢٧١ والقضية كما يرويها أبو صالح مولى أم هاني: (قال: دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية بن أبي سفيان يوما فقال له: يا ضرار صف لي علياً عليه السلام، قال: أو تعفيني من ذلك، قال: لا أعفيك، قال: إذ لا بد، فإنه: كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة عن لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلّب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب، كان والله معنا كأحدنا؛ يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع دنوه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ النظيم، يعظّم أهل الدين، ويحب المساكين، لايطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. أشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، متمثلا في محرابه، قابضاً بلحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول: «يا دنيا، يا دنيا، أبي تعرضت أم إليّ تشوقت؟ هيهات هيهات غرّي غيري، لا حان حينك، قد ابنتك ثلاثا، عمرك قصير، وخيرك حقير، وخطرك كبير، آه آه! من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق» فوكفت دموع معاوية على لحيته وجعل يستقبلها بكمه واختنق القوم جميعا بالبكاء، وقال: هكذا كان أبو الحسن يرحمه الله، فكيف وجدك عليه يا ضرار؟ فقال: وجد أم واحد ذبح واحدها في حجرها فهي لا يرقى دمعها ولا يسكن حزنها، فقال معاوية: لكن هؤلاء لو فقدوني لما قالوا ولا وجدوا بي شيئا من هذا، ثم التفت إلى أصحابه فقال: بالله لو اجتمعتم بأسركم، هل كنتم تؤدون عني ما أداه هذا الغلام عن صاحبه؟ فيقال: إنه قال عمرو بن العاص: الصحابة على قدر الصاحب).

(٢) سورة الحشر: ١٨.

(٣) هذا البيت لأبي سعيد التغلبي الملقب بالقطامي المتوفى سنة١٣٠هـ.

ثم في نفس الأعمال والخطط بعيدة المدى أهم ومهم، فاللازم ملاحظة هذا الأمر أيضاً، وإلاّ كانت الحركة أقل حظاً في الإصلاح، وإن كانت ذات حظ ولم تكن مثل ما تقدم من المستعجل..

إن الله سبحانه أدّبنا في قصة نوح عليه السلام بأن اللازم العمل الإصلاحي، وإن كانت النتيجة ضئيلة ولو بعد ألف سنة إلاّ خمسين عاماً [1]، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾. سورة العنكبوت: ١٤.

٣٢
معرفة مواضع الاستعمار

على الحركة الإصلاحية أن تتبع الاستعمار فتضرب مواضعه موضعاً موضعاً، وتقلّل من غلوائه وتغل حدّه، مع وضوح أن معرفة مواضع الاستعمار صعب، وضربها أصعب، لكن:

(لابدّ من صنعا وإن طال السفر)[١].

إن المستعمرين لهم ثلاث مآرب في بلاد الإسلام:

الأولى: ضرب الإسلام، بما ورثوه من أحقاد الصليبية، وأضيفت عليها الصهيونية.

الثانية: المنع من تقدم أي شعب حتى لا يصل إلى درجتهم، ولو كان الشعب سيخاً [٢] أو هندوساً [٣]، فكيف بالمسلمين؟

الثالثة: كون بلاد الإسلام بقرة حلوباً يشترون منها الموارد الرخيصة ويبيعون لها بعد التصنيع ونحوه بأغلى الأثمان، وقد حسب بعض من له

---

(١) وصدر البيت: (إن تحنى كل عود وانعقر). و(صنعا) المقصود بها: صنعاء عاصمة اليمن المدينة المعروفة وهي ممدودة، وتقصر للضرورة كما في هذا البيت.

(٢) مؤسس الديانة السيخية (ناناك) ولد سنة ١٤٦٩م وقيل: إنه (كبير) ولد سنة ١٤٤٠م وتوفي سنة ١٥١٨م وتدعو هذه الديانة التي ظهرت نهاية القرن الخامس عشر الميلادي في الهند إلى دين جديد يجمع بين الديانتين الإسلامية والهندوسية، وللسيخية مدينة مقدسة تسمى(أمرتيسار) في أقليم البنجاب في الهند.

(٣) ديانة وثنية منتشرة في بلاد الهند، وقد اختلف في مبدئها فقيل: إنها ظهرت في الهند في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

الخبرة، فرأى أنه ربما وصل التفاوت بين السعرين إلى ألف ضعف.

وبهذه الأسباب إنهم:

١: يعممون سياسة التجهيل في بلادنا، فيحاربون العلم أشدّ محاربة، حتى إني رأيت في جريدة لدولة عربية، كما سمعت من إذاعة الدولة: إن نصيب كل فرد من شعبها من القراءة في كل يوم ثلاث ثوان فقط، وعلّق أحد الظرفاء على ذلك: بأن هذه الثلاث ثوان تتلخص في قراءة البطاقات ولافتات المحلات وألواح القبور وما أشبه، ولذا نجد التأخر العلمي يزداد يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة.

٢: ضرب كل شخصية دينية كالمراجع، أو سياسية أو ثقافية أو اقتصادية أو غير ذلك، ألم يفعل صدام كل ذلك وأكثر منها في العراق، وهكذا كثير من الحكام الآخرين.

٣: خنق الحريات إطلاقاً، فلا حرية في بلاد الإسلام حتى بقدر الحرية في زمان الحجاج[١]، وابن زياد[٢]..

---

(١) الحجاج بن يوسف الثقفي، ولد في الطائف واشتهر بولائه للبيت الأموي وعدائه لأهل البيت عليهم السلام، ولاه عبد الملك بن مروان، وتولى مكة والمدينة والطائف والعراق، كان مثالاً للظلم والشدة في الحكم وسفك الدماء فقد كان يقول: (أكبر اللذات عندي سفك الدماء)، ولقد قتل من الناس مائة وعشرين ألف سوى من قتل في الحروب، ولما مات وجد في سجنه ثلاثة وثلاثين ألفاً من المسلمين الأبرياء، وان سجنه كان حائطاً لا سقف فيه، فإذا آوى المسجونون إلى الجدران يستظلون من الشمس رمتهم الحرسة بالحجارة، وكان يطعمهم خبز الشعير مخلوطاً بالملح والرماد، فكان لا يلبث الرجل في سجنه حتى يسودّ ويصير كالزنجي. انظر (شجرة طوبى): ج١ ص١٢٨ المجلس ٤٤ في سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي وشقاوته. هلك بواسط سنة ٩٥هـ.

(٢) عبيد الله بن زياد بن أبيه ابن مرجانة ولد سنة ٢٨هـ ولاه معاوية خراسان سنة ٥٣هـ والبصرة ٥٥هـ وأقرّه يزيد عليها سنة ٦٠هـ ثم أمّره على الكوفة وأمره بقتل الإمام الحسين عليه السلام ◄

وخالد القسري[١]، وأضرابهم من المجرمين.

٤: ضرب كل تقدم وتطلع ونهوض.

وبعد ذلك ليس من العجيب أن لا تجد حتى صنعة واحدة لمليار مسلم في أكثر من خمسين دولة إسلامية، منذ قرن؟

نعم يوجد فيها صنع الفرّارات الورقية[٢]، والحلويات التمرية، بينما كل الصناعات والاكتشافات والاختراعات من الطائرة والسيارة والكمبيوتر والإلكترونيات وغيرها مما تعد بمئات الألوف إن لم تكن أكثر تكون في غير بلادنا.

وقد كان في إيران الشاه وعراق الملكيين شخصان درسا في الغرب فصنعا صناعة متفوقة، وبعد أيام من عرضهما صناعتيهما على الدولتين

◄وبعث رأسه وسباياه إليه، فكانت الفاجعة العظمى في الطف يوم عاشوراء سنة ٦١هـ، بقي على منصبه إلى سنة ٦٥هـ وبعد هلاك يزيد وثب أهل البصرة عليه فهرب إلى الشام ثم عاد إلى العراق بجيش كبير فاقتتل مع إبراهيم بن مالك الأشتر أمير جيش المختار في منطقة (خازر) من أرض الموصل فقتله ابن الأشتر وفرّق جيشه سنة ٦٧هـ، هذا ومخازيه كثيرة.

(١) خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد القسري من أهل دمشق ولي مكة سنة ٨٩هـ للوليد بن عبدالملك ثم ولاه هشام العراقين سنة ١٠٥هـ فأقام بالكوفة ثم عزله هشام سنة ١٢٠هـ وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه، فحبسه وعذبه بالحيرة ثم قتله أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ وكان متهماً بالزندقة وكان من الجبارين القساة الظلمة ومن النواصب وكان السبب في شهادة زيد بن علي عليهما السلام، وكان من شدة نصبه أنه لما كان أمير العراق كان يلعن علياً عليه السلام على المنبر فيقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ابنته، وأبا الحسن والحسين، ثم يقبل على الناس فيقول: هل كنيت. انظر (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد): ج٤ ص٥٧ عن المبرد في الكامل، وفي نفس المصدر ج١٥ ص٢٥٦: ولما ولي خالد بن عبدالله القسري مكة وكان إذا خطب بها لعن عليا والحسن والحسين عليهم السلام.

(٢) لعبة أطفال يجعل من الورق على شكل وردة على رأس عودة، ويأخذها الطفل ويركض بها فيحركها الهواء. تسمى باللغة العراقية (فرارة).

فُقدا بما لم يظهر منهما أي أثر إلى الآن.

ووجد في إيران من أراد إحياء الطب القديم بشيء من التطوير، فقُتل في حادث مجهول، إلى غير ذلك من القصص المعروفة.

وإذا لم يتمكن علماء الغرب من مثل هذين الأمرين، اشترى الغرب المخترع بأغلى الأثمان، أو خطفوه إلى بلادهم، أو هيئوا ظروفاً لتهجيره، كما هو كثير بالنسبة إلى البلاد العربية وغير العربية.

وإني أذكر أن في بلد إسلامي، أراد جمع من التجار فتح شركة لتجميع السيارات ـ مجرد التجميع ـ فاستجازوا الدولة بألف وسيلة ووسيلة، فأجازتهم بعد سنوات، ثم كانت الدولة ترجي الأمر مرة بعد أخرى، وأخيراً قال رئيس الدولة لصاحب الشركة: يا فلان اتركنا عن هذا الشأن، فإن لنا محذوراً في هذا الأمر!، فخاف التجار من السير في مشروعهم أكثر من ذلك، مما جعل الأمر في خبر ليس، والغريب أن نفس هذا التاجر المُصرّ والذي قبل بالنصيحة أخيراً، هيئوا له ظروفاً سببوا مصادرة أمواله ومنعه من السفر.

إلى مئات القصص الأخرى المعروفة للجميع.

وهذه حالة لا يمكن التجاوز عنها إلاّ بتعميم الوعي، وبتنظيم قوي يدمج التنظيمات الصغيرة المنتشرة في تياره العام، وتنظيم قوي في نفس بلاد الغرب يكفهم عن ضرب بلاد الإسلام، بهذه الأساليب وأخيراً بالضرب العسكري الذي هو آخر الدواء عندهم، فآخر الدواء الكي، وعقد المؤتمرات الصغيرة والكبيرة مما هي بالمستوى المطلوب، كما ألمعنا إلى كل ذلك بتفصيل في هذا الكتاب، والله المنقذ.

٣٣
الكفاءات الدينية والدنيوية

يجب أن يكون ميزان الحركة في سيرها، قبل الوصول إلى الهدف، وبعد الوصول إليه، الكفاءات الدينية والدنيوية، فإن إدارة البنك أو المستشفى أو المطار أو الجامعة لا يمكن أن تعهد إلى من لا دين له، أو من لا علم له.

فإن مَن لا دين له يسرق ويصرف المال وغيره في المحرمات والمضرات وما أشبه ذلك، وهذا خلاف ما تهدف إليه الحركة، بالإضافة إلى أنه يضر بسمعتها ويسبب انفضاض الناس من حولها.

ومَن لا خبرة له يضرّ بالحركة ولا يوصلها إلى الهدف، كمن يسلّم السيارة إلى من لا يعرف القيادة، فإنه يسبب اصطدام السيارة بما يوجب هلاك نفسه والركاب وتحطم السيارة.

وهنا أمران:

الأول: ماذا نفعل بالوساطات التي لا يمكن ردّها لمكانة اجتماعية، أو احتياج إليه، أو لأنه شخصية دينية لا يمكن تجاوزها؟

والجواب: يلزم إرضاؤه بما لا يسبب ضرر الحركة، وإذا لم يرضَ، فاللازم ملاحظة الأهم والمهم من الإرضاء وعدمه بالنسبة إلى الهدف، هل إن قبول كلامه أحسن للهدف، أو رفضه مما يسبب إزعاجه؟

الثاني: إذا لم نجد الشخص الجامع للأمرين ديناً ودنياً، هل نقدّم الدين أو الدنيا؟

والجواب: يُجمع بين الاثنين، فالديني يكون رقيباً للدنيوي، والدنيوي يكون مديراً للأمر مثلاً[١]، وهذا مثل ما قاله الفقهاء في المتولي أو الوصي أوالناظر غير الكفوء حيث يضم إليه الحاكم من بهما يمكن ملاحظة الكفاءة والدين[٢].

وإذا سبّب المدير ونحوه خطأ، فاللازم تداركه فوراً، كما تدارك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعله خالد في بني جذيمة، بأن بعث علياً أمير المؤمنين عليه السلام فتدارك ما أفسده خالد في قصة معروفة في التاريخ[٣].

---

(١) وقد يكون هذا أحد الأسباب التي ولّى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام بعضاً من الدنيويين كخالد ومن أشبه.

(٢) قال العلامة الحلي رحمه الله في كتابه (تحرير الأحكام): ج٣ ص٣٧٨ مسألة ٤٨٣٧: (تصح الوصية إلى العدل العاجز، ويضم إليه الحاكم إليه أميناً يعينه).

(٣) القضية مشهورة في كتب الفريقين، انظر (الأمالي، للشيخ الصدوق): ص٢٣٧-٢٣٨ المجلس٣٢ ح٨، وفيه: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد إلى حي يقال لهم بنو المصطلق من بني جذيمة، وكان بينهم وبين بني مخزوم إحنة (الحقد) في الجاهلية، فلما ورد عليهم كانوا قد أطاعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخذوا منه كتابا، فلما ورد عليهم خالد أمر منادياً فنادى بالصلاة فصلى وصلوا، فلما كانت صلاة الفجر أمر مناديه فنادى فصلى وصلوا، ثم أمر الخيل فشنوا فيهم الغارة، فقتل وأصاب، فطلبوا كتابهم فوجدوه، فأتوا به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحدثوه بما صنع خالد بن الوليد، فاستقبل القبلة، ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد (وفي رواية أحمد والبخاري قاله صلى الله عليه وآله وسلم: مرتين). قال: ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبر (وهو تراب الذهب والفضة) ومتاع، فقال لعلي عليه السلام: يا علي، أئت بني جذيمة من بني المصطلق، فأرضهم مما صنع خالد. ثم رفع (صلى الله عليه وآله) قدميه فقال: يا علي، اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك. فأتاهم علي عليه السلام، فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله، فلما رجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: يا علي، أخبرني بما صنعت. فقال: يا رسول الله، عمدت فأعطيت لكل دم دية، ولكل جنين غرة (مقدار من الدية)، ولكل مال مالا، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم (الإناء الذي تلغ به الكلاب) وحبلة رعاتهم (هو الجنين الساقط من الدواب)، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع◄

ويعرف من هذا الباب: لزوم عدم إسناد الأعمال الكبيرة للأشخاص الصغار، ولا الأعمال الصغيرة للأشخاص الكبار، فكلا الأمرين يوجب العطب.

►صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون ولما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله. فقال ﷺ: يا علي، أعطيتهم ليرضوا عني، رضي الله عنك يا علي، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». وروى قريباً منه جمع من العامة، منهم أحمد في المسند: ج٢ ص١٥٠-١٥١، والبخاري في الصحيح: ج٥ ص١٠٧باب غزوة الطائف، وغيرهما وقد حاولوا طمس الحقائق ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره فقد ذكر المتقي الهندي في كنز العمال وغيره: ج١٠ ص٥٩٠ ح٣٠٢٨٢: (عن ابن عمر قال: قال عمر لخالد بن الوليد: ويحك يا خالد أخذت بني جذيمة بالذي كان من أمر الجاهلية أوليس الاسلام قد محا ما كان في الجاهلية؟ فقال: يا أبا حفص والله ما أخذتهم إلا بالحق أغرت على قوم مشركين فامتنعوا فلم يكن لي بد إذا امتنعوا من قتالهم فأسرتهم ثم حملتهم على السيف فقال عمر: أي رجل تعلم عبد الله بن عمر، قال: أعلمه والله رجلا صالحا، قال: فهو الذي أخبرني غير الذي أخبرتني وكان معك في ذلك الجيش، فقال خالد: فاني أستغفر الله وأتوب إليه فانكسر عنه عمر وقال: ويحك ائت رسول الله ﷺ يستغفر لك).

٣٤
الجنوح إلى الإدارة والتخطيط

مما يلزم ملاحظته في الحركة الإنقاذية العالمية: الجنوح إلى الإدارة والتخطيط، لا الموظفية والتنفيذ، فإنه يلزم على الحركة أن تهيأ أفرادها على الأمرين الأوليين، لا تركهم وشأنهم، ولا الأمرين الثانيين، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء حيث وضع نفسه»[١] وهذه حالة نفسية، قبل أن تكون عملاً خارجياً، وهي كسائر صفات الخير أو الشر، أرضيتها موجودة في النفس وقابلة للزرع والنمو.

فالتخطيط عبارة عن قياس الزمان والمكان والكمية والنوعية للحركة، مبدءً ووسطاً وهدفاً، فكم من الأفراد يُحتاج إليهم؟ وكم من الزمان يُنجز فيه العمل؟ وكم قدر المال المحتاج إليه؟ وكم وكم؟ وكيف وكيف؟

والإدارة عبارة عن أسلوب الممارسة بحيث يرفع الحركة عمودياً، ويوسعها أفقياً.

وكلا الأمرين بحاجة إلى خبرة واستشارة، وتقليب وجوه الآراء، وتحرّي الأفضل فالأفضل، وقد قال سبحانه: ﴿**وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ**

(١) عيون الحكم والمواعظ: ص٥٧ الفصل الأول من الباب الأول، ونص الحديث: «المرء حيث وضع نفسه برياضته وطاعته، فإن نزهها تنزهت وإن دنسها تدنست».

﴿إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ [٢].

بينما الله سبحانه: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾[٣]، لكن في هذا الأحسن أيضاً أحسن وأحسن منه.

وبهذا الصدد يلزم أن تهيئ الحركة لنفسها مراكز الدراسات، في أماكن متعددة من العالم الإسلامي، والعالم الغربي، والعالم الثالث، فإن التخطيط لا يكون إلاّ بالإسناد إلى مثل تلك، كما أن الإدارة لا تكون إلاّ بالمدراء الأكفاء.

ومن الممكن تهيئة مؤن مراكز الدراسات بالأوقاف أو التجارة أو الزراعة، حتى يكون الأمر دورياً، بدون ثقل مستمر على الحركة، وذلك ممكن إذا توجه الناس إلى جدوى ذلك، كما أنهم لما توجهوا إلى جدوى المدارس والمساجد والحسينيات وما أشبه أخذوا في بنائها ووقفها وصرف الأموال لها.

وعلى أي حال فالتخطيط والإدارة ضرورتان لإدارة شركة أو معمل أو مدرسة، فكيف بهذا الهدف الضخم الذي يراد الوصول إليه.

---

(١) سورة الزمر: ٥٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٥.

(٣) سورة الزمر: ٢٣.

٣٥
إزالة السواد أولاً

لقد صوّر بعض الحركات المدّعية للإسلام ـ جاهلة كانت أو عميلة للغرب ـ الإسلام بأبشع الصور، من سفك الدماء، والتمثيل والتشويه للأجسام، ومصادرة الأموال، وإهانة غير المسلمين، وتكفير أو تفسيق بعض المسلمين الذي لا يصافقونهم ولا يوافقونهم الطريقة، والترف لأنفسهم، بينما كثير من الناس يعيشون في فقر مدقع ومقابر موحشة لايجدون حتى لقمة العيش وحبة الدواء ودار خربة، إلى غير ذلك، بعكس ما قاله الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم»(١).

وهذا ما أوجب ثقل العبء على الحركة الإسلامية الصحيحة، التي تدعو إلى إسلام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والقرآن وخلفائه الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فصار حال الأمر، حال الصفحة البيضاء التي أريد نقش الأسطر الصحيحة فيها حينما سودها إنسان، حيث إن المصلح يلزم عليه أولاً، إزالة ذلك السواد ـ بكل صعوباتها ـ ثم نقش الصورة الصحيحة فيها.

ولذا فاللازم على الحركة أولاً: أن يكون أفرادها في غاية النزاهة والنظافة.

ثانياً: وأن تصور الإسلام الصحيح الذي طبقه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

(١) الكافي: ج٢ ص٧٨ باب الورع ح١٤ ونص الحديث: قال أبو عبدالله عليه السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية».

في كل أبعاده السياسية والحربية والاقتصادية والاجتماعية والعائلية والثقافية وما إلى ذلك، حتى يثق الناس بهم، وبجدوى الإسلام الذي يدعون إليه، كما قال الإمام علي عليه السلام: «وثقوا بالقائد فاتبعوه»(١).

وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا لنا زيناً، ولا تكونا شيناً علينا»(٢).

وحينذاك يرجى أن يلتف الناس، المسلمون وغيرهم، حول الإسلام وقيادة الحركة الإنقاذية من جديد.

ولا يتوهم أن الأمرين المذكورين سهل، بل هما ـ بعد طول الفساد المتقدم ـ من أصعب الأمور، لكن لابد منهما، وفيهما أطيب الثمار، وقد تقدّم في فصل سابق لزوم الصبر والتقوى، والمصابرة والمرابطة على الحق، كما قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(٣)، ثم بعد ذلك ﴿لَعَلَّ﴾ لا أنه قطعي، إذ القطعية إنما تكون ـ أخيراً ـ بإرادته سبحانه.

---

(١) الكنى والألقاب: ج١ ص١٨٤-١٨٥ ترجمة أبي الهيثم بن التيهان، وفي خطبته عليه السلام: «..ثم ضرب عليه السلام يده على لحيته وأطال البكاء ثم قال: «أوه! على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، وأحيوا السنة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوا..» .

(٢) انظر الأمالي، للشيخ الطوسي: ص٤٤٠ المجلس١٥ ح٤٤، وفيه باسناده عن سليمان بن مهران قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام وعنده نفر من الشيعة، وهو يقول: «معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا لنا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول، وقبيح القول».

(٣) سورة آل عمران: ٢٠٠.

٣٦
ما هي مهمة الحركة؟

يلزم أن لا تجعل الحركة الإنقاذية همّها إيجاد المؤسسات، إذ ليس ذلك في طريق الهدف، وإن كانت حسنة ـ كمال الحسن ـ في نفسها.

فإنه ليس للإنسان وقتان ونشاطان ومالان، يصرف أحدهما في الهدف والآخر في شيء جميل لا يرتبط بالهدف.

وكذلك حال الهيئات الخيرية، كهيئة زواج، أو هيئة إغاثة، أو ما أشبه.

اللهم إلاّ إذا كان ذلك في طريق الهدف، مثلاً يحتاج التجمع والانطلاق إلى الهدف في بلد إلى مركز، وإلاّ لم يمكن التجمع والانطلاق، إذ لا مركز هناك إطلاقاً، أو لا مركز ينساق إلى ذلك، وحينئذ لايكون إنشاء المراكز شيئاً خارجاً عن الهدف.

وكذلك حال الهيئة، فيما إذا كانت الهيئة في طريق الهدف، فقد تنشأ هيئة الزواج لأجل زواج العزّاب فحسب، وهذا جميل جداً، وقد تنشأ لأجل جمع الناس وإلفاتهم إلى الهدف، فإن التجمع أصل الخيرات، كما أنه أصل الشرور، حاله حال الظرف الذي يوضع لأجل الماء أو الخمر.

ثم إذا أسس الحركي مؤسسة خيرية، أو هيئة لأجل ترفيع جانب اجتماعي، فيما كانا في طريق الهدف، فاللازم التجنب عن مباشرته بما هو

هو، بل اللازم إيكاله إلى الآخرين الذين لا يتمكنون من السير إلى الهدف النهائي، وإنما يكون على الحركي التوجيه والإشراف بقدر احتياجه الهدفي.

مثلاً العراق ـ بأرضه الوسيعة وشعبه العريق ـ وقع تحت نير طاغوت صدام، فهل من الصحيح أن يهتم الحركي لبناء مدرسة في البلد الفلاني، وترك نجاة العراق؟

إن المنطق والشرع يؤكدان على النجاة، لا على الالتصاق بمشروع أصغر، ولو كان في نفسه صحيحاً.

٣٧
رصد الانتقادات

إن في العالمَين الغربي وما يتبعه الشرقي، وحتى الإسلامي، كثرة كبيرة من المنتقدين للإسلام ولقيام الدولة الإسلامية، كثير منهم عملاء في العالم الإسلامي، ومستشرقون في العالمين الغربي والإلحادي، وجملة منهم لم يدرسوا بلد الإسلام وطبيعة الإسلام، وبعضهم مخلصون، لاختلاف الاجتهادات، في كل موضوع ـ حتى في الحقيقة والسفسطة ـ .

وهذا السيل من الانتقادات المخلصة ـ قليلاً ـ والمغرضة ـ كثيراً ـ يلزم أن ترصد لها الحركة الإنقاذية العالمية، لوضوح أنه لولا الرصد لأثرت أثرها.

فيلزم أن تخصص الحركة لها جانباً من همّها، وعلى المستوى المطلوب، إذاعة، أو تلفزيوناً، أو مجلةً، أو جريدةً، أو شريطاً، أو ما أشبه ذلك.

واللازم أن يكون الرد بكل حكمة وأدب وواقعية، لا بالتهريج والصخب، كما أنه إذا كان الانتقاد صحيحاً ـ إذ ربما يكون كذلك ـ يلزم قبوله، فإن اللازم على الإنسان الواقعي أن يقبل الواقعيات، وإلاّ لم يكن واقعياً.

وحيث إن في ذلك الجانب، علماء أخصائيين، في علم النفس، والاجتماع، والاقتصاد، وما إلى ذلك، فاللازم أن يكون في هذا الجانب

كذلك أيضاً.

كما أن اللازم تجنب السباب ونحوه، وقد يستفز المبطلُ المحقَّ بالسباب، ليظهره بمظهر غير اللائق، فيسقط عن الاعتبار.

قال سبحانه: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين»[٢].

إن الحركة في كل شؤونها، يجب أن تكون مؤدبة وخلوقة وواقعية، وإلاّ لم تتمكن من أداء رسالتها والوصول إلى الهدف المنشود، وبالأخص في هذا الجانب.

إن تأدب الحركة وواقعيتها يجعل الطرف أيضاً مؤدباً وواقعياً ولو بقدر، وهذا بنفسه ربح، بالإضافة إلى أن الطرف إذا رأى المقابل مؤدباً يخفف من غلوائه، كما قال الشاعر[٣]:

جاء شقيق عارضاً رمحـــه إن بني عمك فيهم رمـاح

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين، فقال: «إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به».

(٣) وهو حجل بن نضلة وهو من الشعراء الجاهليين.

٣٨
جمع الكلمة

من الأمور المهمة بالنسبة إلى الحركة العالمية الإصلاحية: محاولة جمع الكلمة بين الجميع.

فلا يحق لمسلم أن يكفّر المسلم الآخر ـ مهما كان بينهما من خلاف عقائدي ـ إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهو المشرّع الأول والأسوة، لم يكفّر المنافقين، مع أن الله سبحانه قال في حقهم: ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ**﴾(١).

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾(٢).

بل عاملهم بالحسنى مهما أمكن، حتى أظهر الوقوف للصلاة على رئيسهم ابن أُبيّ (٣).

وكذلك علي أمير المؤمنين عليه السلام احترم الخوارج، وهم يكفّرونه، بل

---

(١) سورة (المنافقون): ٤.

(٢) سورة النساء: ١٤٥.

(٣) هو عبد الله بن أبي، رأس المنافقين في المدينة، فقد روي أنه حينما توفي جاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه وصلّ عليه واستغفر له فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قميصه فقال: «آذني أصلي عليه»، فآذنه فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر! فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين!، فقال: «أنا بين خيرتين، قال الله تعال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فصلّى عليه» انظر (حلية الأبرار) للسيد هاشم البحراني: ج١ ص٣٠٩ ب٤٠ ح٤، ورواه البخاري في صحيحه: ج٢ ص٧٦ باب في الجنائز.

وصّى بهم قائلا: «لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه» يعني معاوية [١] ولما حاربوه اكتفى بقدر الدفاع، ولما وضعت الحرب أوزارها، تركهم وشأنهم، بلا سجن أو معاقبة أو فدية أو غيرها.

أليس من اللازم أن نأخذ نحن المسلمين الأسوة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوصي عليه السلام.

ولا يخفى أن الكفار أيضاً بين بعضهم وبعض، نفس المشكلة، نعم في الغرب وما إليه حلّوا المشكلة بالتعايش السلمي، ولذا تقدموا في الدنيا أي تقدم.

وكذلك الحال[٢] بين الأكثرية والأقلية في المعتقد، كالمسلمين وأهل الكتاب ومن إليهم، فالمرجع قوله سبحانه: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[٣]، بل تُحفظ كرامتهم في الدولة الإسلامية ويُلزمون بما التزموا به، كما في الروايات[٤].

وقد ذكرنا في كتاب (كيف نجمع شمل المسلمين؟)[٥]، أنه كيف يخطط

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٤٣٤ ب٢٦ ح٦٤٢.

(٢) أي في ضرورة التعايش السلمي والاحترام المتبادل.

(٣) سورة (الكافرون): ٦.

(٤) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يجوز على أهل كل ذي دين بما يستحلون»، وعن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: «ألزموهم بما ألزموا أنفسهم». تهذيب الأحكام: ج٩ ص٣٢٢ باب ميراث الإخوة والأخوات ح١١ وح١٢.

(٥) كراس صغير من مؤلفات الإمام الشيرازي قدس سره في قم المقدسة بتاريخ ١٥ربيع الأول ١٤٠٣هـ ط: مؤسسة الفكر الإسلامي قم المقدسة ١٤١٢هـ. وط مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر بيروت لبنان ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. ترجم إلى الفارسية: (به سوي اتحاد امت اسلامي) ط قم المقدسة.

لجمع كلمة كل المسلمين في دولة واحدة..

كما ذكرنا في (الفقه) أن غير الكتابي كالكتابي[١] في أنه يعيش في الدولة الإسلامية بسلام، إن أدّى ما عليه من المال المفروض على غير المسلم في قبال المال المفروض على المسلم ـ من خمس وزكاة ـ ..

وبذلك يكون حال الفِرَق المنشقة عن المسلمين بأسماء مختلفة حال أهل الكتاب من هذه الجهة..

وكذلك حال غيرهم..

أما جزئيات المسائل فهي أمور فقهية لا تدخل في هذا النطاق.

(١) حيث قال الإمام الشيرازي ﷺ في (الفقه كتاب الجهاد): ج٤٨ ص٢٨-٣٠: (المشهور بين الفقهاء أن غير الفرق الثلاثة (أي غير اليهود والنصارى والمجوس) يخيرون بين الإسلام والقتل واستدلوا لذلك .. لكن لي في المسألة نظر.. بل لم أجد من الفقهاء قولاً صريحاً بوجوب قتل كل غير كتابي، وأما ظاهر كلمات جملة منهم هو ما استفدناه من الآيات والروايات وإن غير الكتابي يقاتل فاذا سلط المسلمون عليه يخيروا بين المن والفداء والسبي وهذا هو الذي عمله الرسول ﷺ فإنه لما ظفر بأصحاب بدر وكانوا مشركين لم يقتلهم بل أخذ منهم الفداء وتركهم على شركهم فلم يجبرهم على الإسلام وكذلك فعل بأهل مكة فإنه ﷺ قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء فلم يقتلهم ولم يجبرهم على الإسلام وكذلك صنع بأهل حنين إلى غير ذلك مما لا يخفى على من له أقل إلمام بتاريخ الرسول ﷺ).

٣٩
الخروج عن النطاقات الضيقة

إذا كانت الحركة صادقة في إرادتها لتطبيق حكم الله في الأرض، وإنقاذ الناس من الاستعمار والكبت والمرض والفقر والجهل والفوضى وما إلى ذلك من المشاكل، فاللازم أن تخرج عن النطاقات الضيقة، مثل كونه من عشيرة فلان، أو من قطر كذا، أو من البلد الكذائي، وهكذا بالنسبة إلى اللون واللغة وما أشبه.

فإن صاحب النطاق الضيق لا يتمكن من إنقاذ الناس.

أما الدين فهناك دين صحيح دل عليه المنطق، مع ذلك لا إكراه فيه، بل اللازم الدعوة إليه بدون كبت أو إرهاب، قال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[١].

و: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[٢].

و: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[٣]، إلى غير ذلك.

فالكل يعيشون تحت لواء الإسلام في أمن وسلام، سواء قبلوا الإسلام أم لم يقبلوه.

والحاصل أن الدعوة إلى الهدف، بحاجة إلى عاطفة إنسانية، لا ما

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) سورة الغاشية: ٢١-٢٢.

(٣) سورة ق: ٤٥.

يخالف الإنسانية مما حاربه الإسلام.

فـ «الناس كأسنان المشط سواء»[١].

و: «كلكم من آدم وآدم من تراب»[٢].

و: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣].

والناس «إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق»[٤].

إلى غير ذلك من النصوص الصريحة، والتطبيقات العملية من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلي أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا لا ينافي أن يحب الإنسان شيئاً أو شخصاً أو جماعة، لكن الكلام في أن يوجه عطفه وعمله نحو ذلك الشخص أو الشيء ويخرج عن نطاقه الإنساني الإسلامي بالنسبة إلى الغير..

ولذا كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع كمال حبّه لأهل بيته عليهم السلام لم ينسَ غيرهم ولم يتعامل مع غيرهم بتعامل لا إنساني، بل أحياناً كان يؤثر الغير، كما في قصة عدم دخوله بيت فاطمة عليها السلام لستر على باب دارها ونحوه حتى انتزعته وقدمته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقسّمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الفقراء، فدخل دارها[٥]، علماً بأنه لم يكن ذلك إلاّ تعليماً وأسوةً.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٧٩ ح٥٧٩٨.

(٢) مشكاة الأنوار: ص١٢٠ الفصل الأول من الباب الثاني.

(٣) سورة الحجرات: ١٣. وهذه الآية تدل على أن الأتقى هو الأكرم عند الله تعالى، وليس ذلك معياراً للتفاضل أمام القانون، فإن الكل أمام القانون سواء.

(٤) تحف العقول: ص١٢٧ من عهده عليه السلام إلى الأشتر حين ولاه مصر.

(٥) انظر (مكارم الأخلاق): ص٩٤-٩٥ الفصل٦ في التزيين للنساء بالحلي وغيره من الباب الخامس وفيه: عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد السفر

وقد قالت الصديقة فاطمة عليها السلام لولدها عليه السلام: «يا بني: الجار ثم الدار»(١).

وفي القرآن الحكيم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٢).

سلّم على من أراد التسليم عليه من أهله، ثم يكون آخر من يسلّم عليه فاطمة عليها السلام فيكون توجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها، فسافر مرة وقد أصاب علي عليه السلام شيئاً من الغنيمة، فدفعه إلى فاطمة، ثم خرج، فأخذت سوارين من فضة وعلقت على بابها سترا، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله دخل المسجد، فتوجه نحو بيت فاطمة عليها السلام كما كان يصنع، فقامت فرحة إلى أبيها [صبابة وشوقا إليه]، فنظر صلى الله عليه وآله فإذا في يدها سواران من فضة وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة عليها السلام وحزنت وقالت: ما صنع هذا أبي قبلها، فدعت ابنيها ونزعت الستر من بابها وخلعت السوارين من يدها، ثم دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الآخر، ثم قالت لهما: انطلقا إلى أبي فاقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدك غير هذا، فما شأنك به؟ فجاءاه فأبلغاه ذلك عن أمهما، فقبلهما رسول الله صلى الله عليه وآله والتزمهما وأقعد كل واحد منهما على فخذه ثم أمر بذينك السوارين فكسرا، فجعلهما قطعا قطعا، ثم دعا أهل الصفة ـ قوم من المهاجرين ـ لم يكن لهم منازل ولا أموال فقسمه بينهم قطعا، ثم جعل يدعو الرجل منهم العاري الذي لا يستتر بشيء. وكان ذلك الستر طويلا وليس له عرض، فجعل يؤزر الرجل فإذا التقا عليه قطعه حتى قسمه بينهم أزراً .. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله فاطمة ليكسونها الله بهذا الستر من كسوة الجنة وليحلينها بهذين السوارين من حلية الجنة».

(١) وسائل الشيعة: ج٧ ص١١٣ ب٤٢ من أبواب الدعاء ح٧.

(٢) سورة الحشر: ٩.

٤٠
التربية الصحيحة

التربية الصحيحة وانتخاب الكفوء مضافاً إلى التعددية، من مقومات بقاء تيار الحركة صحيحة مستقيمة من الابتداء إلى الانتهاء، وبتوسع الحركة كيفاً، واطرادها كمّاً.

يقول أحد المنصفين من الغربيين المسيحيين: لماذا تقدم رسول الإسلام ﷺ ذلك التقدم المذهل، مما لا سابقة له في العالم وإلى اليوم؟

ثم يجيب عن ذلك: بأنه معلول ثلاث صفات كانت في الرسول ﷺ:

الأولى: أنه ﷺ كان وفياً، ولم يتخل عن أصدقائه يوماً، فأصدقاؤه في المدينة وإلى حين موته كانوا هم أصدقاؤه في مكة، والوفاء صفة يحبها الناس ويلتفون حولها.

والثانية: أنه ﷺ كان زاهداً، فالغرفة التي مات فيها في المدينة لم تكن أفضل من غرفته في مكة، إن لم تكن أسوء، وكان في لباسه ومأكله ومشربه وكل شؤونه في غاية الزهد، حتى أنه حين مات كانت درعه رهناً لثلاثة أصوع ـ ٩ كيلوات ـ أو أكثر من الشعير اقترضها من يهودي لأجل قوته وقوته عائلته، بينما هو رئيس دولة كبيرة ـ عند رحيله ـ تأتيه الأموال من كل بلاده العريضة.

والثالثة: أنه ﷺ كان شعبياً إلى أبعد حد، يجلس ويتكلم مع كل رجل وامرأة وطفل، غني أو فقير، عدو أو صديق.

والناس يحبون الوفي الزاهد الشعبي بفطرتهم، ويلتفون حول هذا الشخص في حياته ومماته.

أقول: وقد فات الرجل الغربي، استشارته ﷺ ومداراته حتى لأعدائه وصفات وصفات أخرى فيه، كما أنه حيث كان مسيحياً لم يذكر علاقة الناس به ﷺ من جهة الدين.

وعلى أي حال، إن المهم على الحركة الصادقة أن تكون في طريق الرسول الأعظم ﷺ متأسية به ﷺ في هذه الأمور، وذلك لا يمكن لغير المعصوم إلاّ بالثلاثة التي ذكرناها من التربية والانتخاب والتعددية، وإلاّ فكم رأينا مربياً لم يكن في فلك الانتخابات والتعددية ـ وهما متلازمان ـ انحرف أيّ انحراف.

٤١
الجسد والعقل

الناس كما يهمهم لوازم جسدهم، يهمهم لوازم عقلهم، فهم محتاجون إلى ملئ بطونهم ﴿**أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ**﴾[١]، وإلى ملئ عقولهم ﴿**وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[٢]، خوف التأخر، خوف المرض، خوف الفقر، خوف عدم العائلة وعدم الأولاد، خوف أيام الشيخوخة، وهكذا ..

فعلى الحركة أن تهتم غاية الاهتمام بآراء الناس، والمشورة معهم، حتى يحس كل فرد أنه شريك في القرار، فإن المستبد ـ وإن سار سيراً صحيحاً فرضاً ـ لا يريده الناس، أما الاستشاري فهو محبوب وإن أخطأ أحياناً.

إن الديكتاتور يسقط بلعنة الناس، والاستشاري يبقى بمدح الناس، والثاني (الاستشاري) حيث يأخذ بآراء الناس يكون أكثر أعماله صواباً بعكس الأول، والناس ينفضّون عن الأول، لأنه لا يملأ أفكارهم، ولا يثلج صدورهم، بخلاف الثاني.

قال سبحانه في فرعون الديكتاتور: ﴿**وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ**﴾[٣].

وقال في النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي**

---

(١) سورة قريش: ٤.

(٢) سورة قريش: ٤.

(٣) سورة القصص: ٤٢.

الآخِرِينَ﴾[١].

والاستشارية بالإضافة إلى أنها روح وملكة نفسانية قبل أن تكون خارجية، تحتاج إلى المنافس المقابل، فاللازم على الحركة أن تخلق في داخلها تيارات متقابلة، وأن تفسح كل المجال للحركات والآراء المعارضة، قال سبحانه: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً**﴾[٢].

ولعلّ من فلسفة ما قاله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ**﴾[٣]، خلق مادة التعددية، مما تسبب الاستقامة والتنافس وما أشبه، لا في الأنبياء عليهم السلام فإنهم بعصمتهم في غنى عن ذلك، ﴿**فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً**﴾[٤]، بل للإلفات إلى هذه الحقيقة الاجتماعية والتي تؤدي إلى استقامة الحياة وتقدمها إلى الأمام.

ولعلّ هذا من أسباب الفرق بين أن كان المسلمون آباء العلم، وبين أن صار الغربيون في هذا القرن آباء العلم، فإن أبوة المسلمين لم تقارن بالاستعمار ومحاربة الشعوب، ولذا إنهم حيث أخذوا بزمام العالم أحبهم الناس ودخلوا في دينهم، وكل من أسلم صار سيّد نفسه بدون استعمار ولا استثمار، بينما الغربيون حيث يستعمرون من انضوى تحت لوائهم، ويريدون السيادة لأنفسهم فقط، والتبعية لمن أخذ بحضارتهم صاروا

---

(١) سورة الشعراء: ٨٤.

(٢) سورة الحج: ٤٠.

(٣) سورة الأنعام: ١١٢

(٤) سورة الجن: ٢٧

مكروهين وهم آخذون بالزمام، فالكل يريد التخلص منهم، وينهض في وجههم في أول فرصة، ونظرة إلى كتابَي (الدعوة إلى الإسلام) و(تشريح جثة الاستعمار)[١] ـ وكل واحد منهما تأليف رجل مسيحي ـ يؤيد ما ذكرناه.

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الكتاب.

ونسأل الله سبحانه، أن يجعله من أسباب إنقاذ البشرية بالقدر الممكن قبل ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف، وسهّل مخرجه، وجعلنا من أنصاره وأعوانه) وإلاّ فالدنيا الصحيحة المشرقة بنور ربّها، هي في زمانه (عليه الصلاة والسلام) فقط وفقط، وما ذلك على الله بعزيز.

«اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة، تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة»[٢].

إنك أنت الموفق المسهل المستعان، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قم المقدسة
محمد الشيرازي

---

(١) لمؤلفه جى دى بوشير، دراسة اجتماعية طبع في بيروت سنة ١٩٦٨م، ترجمه إدوارد خراط الكاتب المصري.

(٢) مقطع من دعاء الافتتاح انظر (مصباح المتهجد) للشيخ الطوسي: ص٥٨١ دعاء كل ليلة في شهر رمضان.

الفهرس

المقدمة ٣
عدم الازدواجية ٨
النظر إلى الهدف فقط ١٣
إيقاف غير المغرضين أمام المغرضين ١٦
اللاعنف ١٩
عدم التهاتر وترك العقوبة ٢٢
الاستفادة من جميع الطاقات ٢٦
الشباب والشيوخ ٣١
تغيير واقع الحياة ٣٤
الانطلاق إلى العالم ٣٧
التفرغ ٤٠
التعقل ٤٦
خدمة الناس ٤٩
الأهم والمهم ٥٢
الوسائل الحديثة ٥٥
شعار الحركة ٥٩
التوجيه نحو الهدف ٦٢
لا لليأس ٦٢
التلقين ٦٥
تحمل الآلام ٦٩
إيقاف المعتدي ٧٤
علاج النقص ٧٩
المعقّدات ٨١
سعة الصدر ٨٣
الرجاء والطمأنينة ٨٦
القرآن والدعاء ٨٨
التشجيع ٩٢
تحويل الكذب إلى الصدق ٩٥
تحويل الضار نافعاً ٩٩
التغيير العام ١٠١
الاستياء ضد الدكتاتورية ١٠٣
عمق النظر ١٠٥
بُعد المدى ١٠٧
معرفة مواضع الاستعمار ١١٠
الكفاءات الدينية والدنيوية ١١٤
الجنوح إلى الإدارة والتخطيط ١١٧
إزالة السواد أولاً ١١٩
ما هي مهمة الحركة؟ ١٢١
رصد الانتقادات ١٢٣
جمع الكلمة ١٢٥
الخروج عن النطاقات الضيقة ١٢٨
التربية الصحيحة ١٣١
الجسد والعقل ١٣٣
الفهرس ١٣٦